15em Année No. 735

Lundi — 4 — 8 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٣٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٧ رمضان سنة ١٣٦٦ — ٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

ملاحظـــات وردود

على تأملات ونقود

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

كتب الأستاذ إسماعيل مظهر في مجلة « المقتطف » فصلا افتتاحياً ضمنه بعض « التأملات والنقود » حول موضوع كتابنا عن « الله » ثم ألحقه بتذييل عن المصطلحات والأسماء التي « لا يوافق عليها »

وفي هذا وذاك مجال للمناقشة والتعقيب من قبيل التصحيح أو التوضيح .

وهذا بعض ما رأينا أن نناقشه من تلك النقود والملاحظات

***

انتقد الأستاذ مظهر ترجمة الأنيميزم animism بالاستحياء وقال ان حقيقتها الفكرة الروحانية واستشهد على ذلك بمعجم من المعجمات الإنجليزية

ونقول إن هذه المصطلحات لا يرجع فيها إلى المعجمات العامة وإنما يرجع فيها إلى معنى المذهب الذي تدل عليه

فكلمة « الأنيميزم » لها معان كثيرة تختلف باختلاف العلوم التي تدخل فيها ، وهي في علم وظائف الأعضاء غيرها فيما وراء الطبيعة وغيرها في علم أصول الإنسان

والمعنى المقصود هنا في مذهب تيلور أن الهمجي كان يؤله الأشياء والظواهر الطبيعية لأنه كان كالطفل الذي يضرب الباب إذا اصطدم به لأنه يحسبه في حكم الأحياء . ونحن لا نقول إن الطفل يضرب الباب لأنه يؤمن بالفكرة الروحية وإنما نقول إنه يضربه لأنه يؤمن بالاستحياء ، أو لأنه « يستحيي » الأشياء التي ليست لها حياة

وانتقد الأستاذ مظهر ترجمتنا البوليثزم Polytheism بتعديد الآلهة وقال : « هو الإشراك أو الشرك وهو اصطلاح قديم جار على الألسنة وتضمنته المؤلفات العربية من أقدم عصور البحث الفلسفي فيها »

نقول نعم ... ولكنك لا نقول إن القبائل الهمجية كانت تؤمن بالشرك لأن الإيمان بالشرك يقتضي الإيمان قبل ذلك بوحدانية الله . ولا معنى لأن تصف إنساناً بأنه مشرك قبل أن يظهر على الكرة الأرضية دين يدعو إلى التوحيد ، أو يدعو إلى الإله الواحد الذي يدعو إلى غيره أولئك « المشركون »

وفرق بين كلام الكاتب العربي عن المشركين بعد ظهور الإسلام وبين كلام المؤرخ الذي يرجع إلى أطوار العبادة من التعديد إلى الترجيح إلى التوحيد . فلو قال ذلك المؤرخ إن الهمج أشركوا قبل أن يؤرخ لنا ديانات التوحيد لكان كلامه هذا خطأ في التاريخ وخطأ في التعبير

وانتقد الأستاذ مظهر بعض الحروف كقولنا الشيشيميون بدلا من « الخيخيميون » كا برى . أو كقولنا كرونوس بدلا

من أخرونوس إلى أمثال هذه التصحيفات فى رأى الأستاذ

وجوابنا عن ذلك إن كتّاب العربية يكتبون «ارشميدس» كما يكتبون « أرخميدس » أو يكتبون أرشميد وأرخميد بغير سين

وإنهم يكتبون كرستوف كولبس كما يكتبون خرستوف كولبس أو كولمب فى الحالتين

وأن العرب أخذوا من الفارسية « خسراو » فجعلوها كسرى مع وجود الخاء فى اللغة العربية

وإن كرونوس بذاتها لا يصح أن تترجم أخرونوس فى المقام الذى ترجمت فيه ؛ لأنها تتصـل بمعنى الزمان ونحن نقول اليوم « كرونومتر » ولا نقول « أخرونومتر » كما يريد الأستاذ

ويعيب الأستاذ مظهر ترجمة الديالـكتك Dialectic بالثنائية ويفضل ترجمتها بالجدلية

وهو فى ذلك على خطأ عظيم من جهة اللفظ ومن جهة المعنى؛ لأننا رددنا ديا « Dia » إلى معناها الأصيل وهو التثنية ومنها الآن كلمة Deux بالفرنسية و Two بالإنجليزية

ولأن مذهب كارل ماركس وهو « الديالـكتك » يقوم على أن المادة ثنائية الخصائص تشتمل على الخاصة ونقيضها ، ولا يقوم على أن المادة جدلية أو يجادل بعضها بعضاً فى أطوارها المتتابعة

وقال الأستاذ مظهر فى مفتتح كلامه : « ما من شىء فى دنيا الفكر ينبغى أن تحدد معانيه تحديداً دقيقاً إذا أردنا أن نأمن العثار ونطوى مراحل الجدل كتحديد المعنى الذى ندركه من كلمة الله والمعنى الذى ندركه من الألوهيـة أو الربوبية ... ولـكن ينبغى أن نتواضع على تفرقة بينهما فى الاستعمال ، وأود لو أننا ندرك إذا قلنا الله إنه موضوع مرده إلى الدين ، وأن ندرك من القول بالألوهية والربوبية أنه موضوع مرده إلى الفلسفة والتأمل »

وقد كان خليقاً بالأستاذ مظهر أن يرجع فى هذا إلى غرضنا من الـكتاب

فنحن قد أردنا به أن نبين كيف وصل الإنسان إلى الإيمان بالله ، ولم نرد به أن نبين كيف وصل إلى مجرد الربوبية ، لأنه قد وصل إلى الإيمان بالربوبية منذ آمن بالطواطم أو منذ آمن برب ما من الأرباب قبل عصور التاريخ

وقال الأستاذ مظهر عن كلمة الوجود ينتقد قولنا « إننا نعطى الوجود ألزم لوازمه إذا قلنا إنه غير المعدوم » فعقب على ذلك قائلاً : « ذلك قول غير مستقيم ذهناً لأن الوجود يقابله العـدم ولا يقابله المعدوم »

نقول نعم ... ولـكننا إذا قلنا الشبيبة قصدنا بذلك الشبان ؛ وإذا قلنا العلم قصدنا بذلك المعلومات ، وإذا قلنا : هذا الوجود . قصدنا بذلك هذه الموجودات

ومن أعجب العجب قول الأستاذ مظهر إن الوجود يتوقف على إحساس من يحسونه . فهل معنى ذلك أن الشىء لا يكون موجوداً لذاته إلا إذا وجد من يحس أنه موجود !

وانتقد الأستاذ مظهر قولنا إن الوعى الـكونى هو علة البحث عن العقيدة ، ثم استشهد بكلام « أوغست كونت » حيث يقول: « إن الاعتقاد فى إرادات أو ذوات عاقلة لم يكن إلا تصوراً باطلا يخفى وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية . أما الآن وكل المتعلمين من أبناء المدنية الحديثة يعتقدون بأن كل الحوادث العالمية والظاهرات الطبيعية لا بد من أن تعود إلى سبب طبيعى ، وأنه من المستطاع تعليلها تعليلا مبناه العلم الطبيعى فلم يبق ثمت من فراغ يسـده الاعتقاد بوجود الله ، ولم يبق من سبب يسوقنا إلى الإيمان به »

ونلاحظ أولا أن الأستاذ مظهر يترجم auguste باوغست فلماذا ترجمها هكذا وليس فى الفرنسية حرف الغين !

ثم نلاحظ أن الأستاذ قد أغفل الجانب المهم من الفلسفة الوضعية كلها وهو أن كونت لا ينفى وجود ما وراء الطبيعة ولا ينفى ضرورة الاعتقاد ، ولـكنه يقول إن العقل قاصر عن معرفة غير المحدود وأنه ينبغى من ثم أن يتخذ له عقيدة إنسانية تؤمن بالإنسان وتنوط الثواب الأعظم بإسداء الخير إلى بنى الإنسان

وقد وجد بعد كونت فلاسفة يعلمون مالم يكن يعلمه فى زمانه ، ولم يكفوا عن البحث فيما وراء الطبيعة ، ولم يذهبوا إلى ذلك السـخف الذى ذهب إليه حين وقع فى ذلك التناقض الذى لا تقبله العقول فضلا عن وجدان الدين

فأى تناقض أسخف من تناقض القائلين بأننا نترك الإيمان بغير المحدود لأنه غير محدود ؟

أى كائن أحق بالإيمان به من الـكائن المطلق الـكامل ؟ فلماذا يكون سبب الإيمان الوحيد هو السبب المبطل لـكل إيمان ؟

القسم السابع :

فرنسا ومستعمراتها

الاعتـــداء على الجزائر

للأســـتاذ أحمد رمزى بك

« يا ويلاه ! إن المصائب والنكبات وامتحان الدهر ليست وحدها العائق الذى يعترضنا فى الحياة بل إن أعمالنا وجهودنا نفسها كثيراً ما تكون حرباً علينا » « فاوست »

ليذكر العرب جميعاً والعالم الإسلامى وسائر أمم الأرض أن فرنسا اعتدت بلا مبرر ، بل بسبق إصرار وتربص على حرية الأمة الجزائرية ، وكان ذلك بغير إعلان حرب ولا إخطار للدولة صاحبة السيادة ، وإنما جمعت وحشدت الجنود وأنزلتها فى يوم ١٩ يونية سنة ١٨٣٠ عند الصباح فى مرسى سيدى فرج ، حيث انسحبت قوات والى الجزائر من البرج القائم حقناً للدماء وإثباتاً للتعدى أمام طوفان الفرق التى جاءت من فرنسا بمدافعها وعتادها الحربى .

هذا اليوم يجب أن يبقى خالداً فى ذكريات كل فرد منا ، مهما كانت ثقافته ومهما كانت آماله ، ولأهل الجزائر أن يرفعوا أيديهم بالاحتجاج على هذا العدوان ، وأن تنصت السموات العلا إليهم ، وتستمع الأرض ومن عليها لشكواهم وآلامهم

وليتخذ أبناء العروبة هذا يوم حداد لهم يقفون دقائق معدودة تحية للمجاهدين والمقاتلين الذين جادوا بأرواحهم دفاعاً عن حريات الأمة الجزائرية فى كفاحها الطويل وجهادها ، وليبق هذا اليوم الأسود قائماً بيننا حتى يصفح الله عن شعبه وأرضه ويرد إليه حقه ، وإلى أن تعود الحياة والنور إلى الشعب الجزائرى على الثرى الذى حمل أمجاده والذى هو له وحده .

كان هذا الاحتلال نكبة كبرى على العروبة والإسلام ، لا للحوادث التى تمخض عنها من ضياع استقلال تونس ومراكش ، ولا للحوادث الكفاح والقتال والتصادم التى دامت سنوات عديدة ، ولا لما أثاره من المعارك والمقاتل والأيام المشهودة ، وإنما كان

فإذا كانت المعرفة العلمية قاصرة عن الإحاطة بغير المحدود على زعمه فيجب أن يكون هناك سبيل إلى الشعور به من غير المعرفة العلمية ، وهو سبيل الإيمان

والمسألة ليست من البساطة والسهولة بحيث يقول الأستاذ مظهر إن علم التطور « أثبت أن الإنسان نتيجة مترتبة على النواميس القديمة الأزلية وأن حدوثه ليس أكثر من توليف جديد حدث فى جواهر المادة »

فكيف أثبت علم التطور أن الإنسان توليفة جديدة فقط حدثت فى عالم المادة ؟

هل أثبت علم التطور حتى الآن علة الفرق بين أصغر الخلايا الحية وبين الذرة المادية ؟

وإذا كان علم التطور لم يثبت ذلك فكيف يجزم بالرأى فى حقيقة الإنسان كله وهو أعلى ما شهدناه من ظواهر الحياة ؟

وإذا كان علم التطور قد أثبت ذلك فلماذا لا يخرج لنا خلية حية تنشطر وتلتئم وتتوزع وتتجمع وتدخل فى الرحم بدلا من خلية الإنسان أو خلية الحيوان فينشأ منها مولود جديد على مثال أمه وأبيه ؟

إن أجهل همجى لهو أصدق شعوراً بالعالم من الفيلسوف العصرى الذى يحصر مسألة الحياة هذا الحصر المعيب . لأنه على الأقل يدرك للكون عظمة ورهبة تخفيان على الفيلسوف الذى يظن أن الآزال والآباد كانت فى انتظاره حتى يظهر فى سنة ١٨٠ أو ١٩٠٠ أو ٢٠٠٠ فيضع الكون كله فى تلك العلبة الصغيرة ويغلقه هناك بالمفتاح الأخير

على أننا ندع الخوض فى هذا الغمار فقد عرفنا كيف كان وقوف الأستاذ مظهر على الشاطىء بين الماء والرمال ، ونرجع إلى المصطلحات والنقود فلا نزيد على ما تقدم إلا أن نرجو الأستاذ ومن ينقدون على غراره أن ينقدوا بعد أناة طويلة . فقد تبين مما تقدم أننا لم يفتنا شيء مما يقع فى خواطرهم ، ولكنهم هم قد يفوتهم شيء كثير مما توخينا ...

عباس محمود العقاد

محنة إزاء ما تبينه العالم من صمت المسلمين وجودهم وتفرق كلمتهم . لقد كشفنا هذا العدوان الفرنسي أمام الدنيا وشعوبها . كنا قوة تخشاها أحداث الزمن ، فإذا نحن لا شيء . كان العالم يحسب ألف حساب للروح التي تفيض حماسة وقوة ورفعة ، تلك الروح التي أفرغتها تعاليم الإسلام على الأفراد والجماعات والشعوب ، فإذا هذه الروح لا وجود لها ، إنها قد ماتت ولم يعد لهـا بقاء ولم تقم لها قائمة ، ولهذا حمل أهل الجزائر عبء القتال وحدهم ، وكان عبئاً ثقيلا عليهم . حقا إنهم ما وهنوا لمـا أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، ولـكن للطاقة البشرية حداً ، إنهم دافعوا دفاع المستميت حتى ألقوا في النهاية أسلحتهم .

هذه ناحية جديرة بالبحث والتحقيق ، نقول ماذا دهى العالم الإسلامي وأهله ؟ ماذا أصاب هذه الشعوب التي عهدناها في التاريخ زاحفة على الأخطار تتلقاها بصدور ملأها الإيمان ، لا تلين يوم ترجف الراجفة ولا تخضع ولا تستأمن ، وإنمـا تقوم للأحداث وتقعد . أين ذهبت تلك الحيوية التي كانت تتبع الرادفة بالرادفة ، وتهز بعزائم أهلها الدنيا ، وتواجه بصدور أهلها طوفان الحوادث فتعلو عليه والنصر من كل جانب يواتيها ؟

ولقد افتتحت هذا المقال بجملة من فاوست قالها جوته الشاعر الألماني ، وهي تلخص حال المسلمين في افتتاح القرن الماضي ، إذ كانت قد خفتت منذ سنوات وقرون أصوات المعارك الزاحفة ، وانهدت صروح الممالك القوية ، وتفككت عرى الدنيا الإسلامية حينما أطلت طلائع القرن التاسع عشر علينا ، فأصبحت المدن التي كانت عامرة أنقاضاً ، وهبط عدد المسلمين في مصر وفارس وسوريا والمغرب ، وضعف شأن المسلمين في كل جانب ، ومنذ ابتداء القرن الثامن عشر لم يبق لهم إلا دولة آل عثمان التي وصلت جحافلها إلى فينا مرتين ، ثم إذا هي تواجه الهجمات المتتالية في جبهة البلقان والمجر ، وتدافع ببطولة واستماتة ؛ فمن كان بوسعه أن يخترق حجب الغيب قبل وقوع هـذا الحدث الأعظم بثلاثة قرون ، ويجاهر المسلمين بأن مصائب القرن التـاسع عشر وأرزاءه كانت نتيجة للأخطاء التي ارتكبها أسلافهم بحروبهم وسياستهم وتفرق كلمتهم؟

لم يبق من شك في أن الحروب التي شنها سـليم الأول على مصر وإيران أضعفت الـكيان الإسلامي كقوة فعالة ، ولا سيما إذا حللنا على ضوء المنطق الأسباب التي دفعته إليها ، فقد كانت مشاكله مع الدولتين من الأمور التي كان بوسعه حسمها بدون أن يتورط في معارك مع دول إسلامية هي بطبيعتها حليفة له . فكان من أثر حروبه أن زالت من الوجود دولة مصر التي كسبت الحروب الصليبية في مواجهة أوربا ، وناهيك بذلك مفخرة لها .

إن الضربة التي وجهت إلى مصر في سنة ٩٢٢ هـ ، كانت ضربة ضد العروبة والإسلام ، إذ كان من أثرها أن انهار ركن من دعائم دنيا المسلمين كان له المقام الأول في الدفاع عن أراضيهم وصد أعدائهم ، وسرعان ما ظهرت للعيان فداحة هذا الرزء حينما لم يمض نصف قرن حتى أعقب ذلك هبوط سريع في عدد السكان ، ونقص في العمران الذي كان قائماً بأراضي مصر والشام ، بل إن أثر الفتح العثماني كان شديداً حتى على الحركة العلمية والأدبية التي كانت سائدة بمدارس القاهرة ودمشق ، فلم نعد نسمع بمصر عن رجال من أمثال ابن خلدون والسيوطي والمقريزي وغيرهم من أئمة الدين والفقه والشريعة ، ثم انظر إلى أثر هذا العدوان ضد بلاد الإسلام في العقلية الأوربية نفسها ، فهـذه جمهورية البندقية استمرت في علاقات حسنة مع مملكة مصر طول القرون الوسطى . وإنك إذا ذهبت إلى المدينة وزرت قصر الدوجات ، تجد في إحدى قاعات العرش رسماً كبيراً يمثل سفراء إيران بين يدي عاهل البندقية ، إن هذه الصورة توحي بأشياء كثيرة ، فإن هذه الجمهورية بعد زوال مصر أخذت تبحث عن حلفاء لها من بين المسلمين .

والمعروف أن دوج البندقية كان عدواً للأتراك العثمانيين ، فهو يضع في مواجهة العالم اعتزازه بتحالفه مع أعداء الدولة العثمانية من المسلمين ، وليس أبلغ للدلالة على تفرق كلمة المسلمين وتشاحنهم بعد حروب سليم من هذه الصورة القائمة حتى اليوم ، درساً وعبرة لمن يريد أن يعتبر .

وما يقال عن إيران ينصب على سلطنة مراكش ، فهي قد عاشت أكثر من ثلاثة قرون في شبه عزلة تامة نتيجة للسياسة العامة التي وضعها سليم بضرورة فرض سيادة الخاقان الأعظم على بلاد المسلمين وممالكهم ، وهي سياسة لم تـكن تسمح بإيجاد علاقات واضحة صريحة مع دولة مراكش المستقلة ، ولم يكن من نتيجتها سوى توالي المحن والنـكبات ، وتحضير الظروف وتوطئة الأحوال الملائمة لذلك الهجوم الفرنسي الذي تمثل في الاعتداء على القطر الجزائري الشهيد

قارن هذه السياسة المبنية على الدعوة إلى السيطرة العامة والخضوع لسلطان الخلافة مع المرونة التي أظهرها ملوك مصر ابتداء من الملك الظاهر بيبرس مع خانات التتار والقبيلة الذهبية وأصحاب عروش القفجاق في روسيا ، تجد أنهم نقلوا هذه البلاد من الوثنية إلى الاسلام .

أما السياسة العثمانية فلم تنجح مع أنها كانت قريبة منهم لأنها جاءت للملوك هذه البقاع وفضلت فرض نوع من الوحدة والسيادة عليهم ، وكان هؤلاء في عنفوان قوتهم فرفضوا الإذعان لسلاطين آل عثمان ، وكانت دولة الخلافة في إبان مجدها وفتوتها فتمسكت بسياستها ، وبعد قرنين ضعف الجانبان ، ودخل خانات القرم طوعا تحت كنف السلطان الأعظم ، فإذا هو عاجز عن حمايتهم ، وإذا بالقوى تتجمع ضد الدولة العثمانية . وكان أول من جاهر بالعصيان جماعات القوزاق الذين خضعوا لها واستأسد حكام موسكو فأصبحوا بعد ضعفهم وخضوعهم لملوك المسلمين أباطرة وقياصرة ، وكانت قلاع العثمانيين على نهر الدنيبر في شمالي رومانيا وفي وسط بلاد المجر كافية لصد جموع أوروبا مجتمعة ، ولكن ماذا تفعل الجحافل العثمانية وقد امتدت الجبهة شرقاً وظهر عدو جديد هو الروسيا التي أخذت تكتسح الأمارات الإسلامية حتى وصلت إلى شواطىء البحر الأسود الذي عرفته القرون بحيرة اسلامية ؟

لقد ظهرت للعيان أخطاء قرنين من الزمن لأن حلفاء الدولة العثمانية الطبيعيين هم سكان نهر الفولجا المسلمين وأمراء القرم وهم الذين كان بوسعهم دفع الشر إبان قوتهم ، وكان المنطق والعدل والأخوة تملي بتقوية هذه الأمارات وتشجيعها بدلا من مناوأتها ، فإذا هي أول ضحايا الزحف السكوبي وإذا بالجبهة العثمانية تنهار بسرعة وإذا بجهود السلطنة والخلافة ينصرف من يوم حصار فينا إلى عهد حملة نابوليون ١٨١٢ في صد الهجمات المضادة التي شنتها أوروبا . فإذا وقفت في صدها ، عالجها الذئب الروسي الآسيوي مستعيناً بمن كانوا حلفاءها ، لقد كانت محنة كبرى ولكنها من صنع أيدينا قبل أن تكون من عمل أعدائنا . فالويل لنا إذا تكررت مرة أخرى .

فهل كان من حرج على سلاطين آل عثمان لو اتبعوا أساليب وسياسة سلاطين القاهرة في علاقتهم مع مسلمي الفولجا والقرم ؟ لقد أثبتت الأيام أن ملوك مصر كانوا أبعد نظراً وأكثر انتباهاً .

ولذلك لم تكسب الدولة العثمانية كثيراً في سياستها الإسلامية وجاء اتساع رقعة أراضيها فلم يمكنها من أن تصير دولة متماسكة قوية ومع خدماتها الجلى للاسلام جاء وقت كانت هي وحدها الدولة الإسلامية التي تتلقى الصدمات التي يوجهها أعداء الإسلام وخصومه إلى أممه . وفي غمرات هذه الحالة جاءت حملة فرنسا على القطر الجزائري فإذا القوى مبعثرة والأيدي مغلولة وأراضي المسلمين الشاسعة خالية من السكان .

نذكر هذا ونكرره إزاء الصيحات التي نسمعها نحو الوحدة وتأليف دولة موحدة إسلامية . ونحن نبادر إلى القول بأن المتناقضات لا تزال قائمة في داخلية العالم الإسلامي وهذه التناقضات التي أورثتها لنا الأطماع والحزازات والعقد النفسية ، فلنحذر من الوقوع في أخطاء السلف ، لأن هذه الأخطاء قد تكون أكثر وبالا علينا من المصائب والنكبات التي يسببها الأعداء لنا .

وكلمة هادئة نسوقها هنا وهي : أننا من دعاة حرية الشعوب الإسلامية ولكن مع الإسراع في الأخذ بمدنية القرن العشرين ومع العمل على نقل الشعوب إلى وعي قومي صحيح مبني على العلم والنور وفهم الحقائق والتثبت منها ، بحيث لا يمكن التأثير عليها وقيادتها إلى أعمال تحمل من المبدأ جراثيم الفشل وتنتهي إلى نكبات ونحن نضعف من شأن المسلمين ، فعلى ضوء تجارب الماضي ودروسه القاسية تبنى وتؤسس دعائم المستقبل ، فنحن طلاب حرية وتقرير مصير واستقلال كل شعب داخل نطاق حدوده القومية والتاريخية ، ولسنا من أنصار الفكرة العثمانية التي رأينا أثرها بعد ثلاثة قرون ممثلة في ضياع شمال إفريقية ، وإنما ندعو إلى تأسيس علاقات جديدة بين الوحدات العربية والإسلامية تنمو على ضوء التجارب مع الزمن نحو التحالف والتكاتف والتعاون ، حتى يعاد العمران وتنشأ المواصلات وتختفي الأنقاض والخرائب وتحطم أغلال الجهل التي أورثتها لنا أجيال عشنا منها تحت كنف الاستعمار والاستعباد .

هذه ناحية هامة أعادتها إلينا ذكرى احتلال الجزائر وما لمسناه من خمود أية فكرة عليا للدفاع عن هذا القطر الشهيد ؛ فلننظر من ناحية أخرى لهذا الحدث الكبير في تاريخنا لنعرف الدوافع الكامنة وأثرها .

لقد رأينا جيوش المسلمين تسير لتحرير العالم ، حتى إذا انتهت إلى أسبانيا عبرت جبال البرانس ودخلت فرنسا بقيادة عبدالرحمن

ابن عبد الله الغافقي في سنة ٧٣٢ ميلادية .

وكانت انتصاراته سهلة على حكام البلاد فوصل زحفه إلى وادي نهر اللوار ، ولكن في وسط الوديان الشاسعة بين بلدتي تور وبواتييه ، حيث المروج الخضراء ، التقت جموع العرب لأول مرة مع جموع عنصر أوروبي مقاتل هم الجرمان وعلى رأسهم شارل مارتل ، ودارت رحى معركة قال عنها كتاب أوروبا « هي المعركة الفاصلة بين الإسلام وأوروبا المسيحية على زعامة التمدن » .

ولم تكن هذه المعركة بين الإسلام والمسيحية لأن أغلب مقاتلة الجرمان كانوا وثنيين ، ولكن الدعاية والرغبة في التهويل والتفخيم أسبغت على هذه المعركة ثوباً فضفاضاً ، لأن نتيجتها كانت انسحاب العرب من وسط فرنسا إلى جبال البرانس ، فقالوا هنا التقت أوروبا وآسيا ، وفي هذه المعركة انهزمت قوى الإسلام . ومن الغريب أن يذكر بعض المؤرخين أن بين من حارب في صفوف المسلمين أمراء مسيحيين .

لقد شاءت الروح الصليبية السائدة في أوروبا أن تجعل من معركة تور وبواتييه ، ابتداء الهجوم المضاد على المسلمين ، لا في فرنسا وحدها بل في أسبانيا ، واستمرت هذه الدعوة القائمة على الكراهية والإفناء سائدة لمدة ثمانية قرون وهي تلاحق العرب حتى صُفيت المشكلة الإسلامية في بحر من الدماء والمذابح في أسبانيا وغادر آخر ملوك غرناطة ساحل الجزيرة الخضراء .

ولقد ظن المسلمون أو خيل إليهم أن نكباتهم قد انتهت وأن جحافلهم قد آن لها أن تستريح وكانوا في ذلك من الواهمين لأنه لم تمض ثلاثة قرون حتى لاحقتهم الحروب في عقر دارهم ، وقذفت فرنسا التي حكمها العرب وفتحوا ديارها بحملة قوامها أربعة وثلاثون ألفاً من خيرة جنودها وحملوها على أسطول عدته أربعمائة سفينة أنزلت مع الحملة مائة وعشرين مدفعاً تجرها الخيل .

ولم تكن هذه أولى الحملات بل تقدمتها محاولات أخرى لقيت فيها مدينة الجزائر الكثير من عبثهم وهدموا أحياء منها ، ويذكر التاريخ مثل هذه الهجمات على مدن السواحل الإفريقية كلها حتى مدينة الأسكندرية وبيروت وسواحل الشام أصيبت في عهد الدول العثمانية وقبلها بشيء من هذا العدوان على أيدي قراصنة الأوروبيين .

ومع ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم تمكن أهل المدن الساحلية وهم أهل المتاغرة والرباط من رد هذه الحملات إلى البحر والمحافظة على السواحل الإسلامية واسترجاع المناطق التي سيطر العدو أحياناً عليها ، ولعل هذه الانتصارات السهلة هي التي جعلت أمراء المماليك بمصر يستصغرون شأن حملة نابليون ، وجعلت أهل الجزائر يستصغرون شأن الحملة الفرنسية عليهم ، وكانوا في هذا من المخطئين فدفعوا الثمن غالياً بهزيمتهم وموتهم وأضاعوا البلاد من أيديهم .

وبهذه الحملة انتقلت حلقات الهجوم المضاد لمارك تور وبواتييه إلى الشاطئ العربي وبدأت حرب الموت والفناء تشنها قوة تعتقد أنها تستعيد مجد روما على الرمال التي حملت أعلام روما القاسية ، وتستوحي في قتال المسلمين ذكريات الحروب الصليبية ومعارك لويس التاسع في إفريقيا ، وهكذا شاءت فرنسا أن نعيش نحن معاشر العرب بأفريقيا الشمالية في غمرات الهجوم المضاد الذي بدأه الجرماني شارل مارتل علينا .

ولم يكن هناك ما يبرر هذا العدوان فقد نقرأ الكثير مما ذكره المؤرخون عن حادث إهانة الوالي حسين باشا للجنرال دوفال قنصل فرنسا حينما قدم عليه للتهنئة بعيد الفطر سنة ١٢٤٣ هجرية وما سبق هذا من النزاع على الديون التي ماطلت فرنسا في دفعها لحكومة الجزائر ، والدور الذي لعبه كل من يعقوب كوهين بكري وميخائيل أبو زناك اليهوديين في هذه القضية ، وهل ترفع إلى مجلس الجزائر ، أو إلى محاكم باريس التجارية للفصل فيها ؟ ثم احتجاج القنصل ومغادرته البلاد ومن معه من التجار الفرنسيين ، وما قيل من أن هذا القنصل تعمد إيجاد هذا الحادث بتوجيه عبارة غير لائقة للوالي حينما طلب إليه إجابة صريحة من حكومته فرد عليه أنه ليس من عادة ملك فرنسا أن يكاتب من هو دونه بغير واسطة فأثار بقوله غضب الوالي .

إذ ما الفائدة في تعرف أسباب العدوان بين القوي والضعيف والنية مبيتة والاستعداد قائم ، ولم يكن اختيار الجنرال لبرأسها وهو عسكري إلا توطئة وتحضيراً للأعمال الحربية القادمة .

ووقعت الواقعة في التاسع عشر من يونية سنة ١٨٣٠ إذ أقدمت فرنسا بغير إعلان حرب ولا إخطار للدولة صاحبة السيادة أو إنذار للوالي فأنزلت عساكرها في مرسى سيدي فرج ، وهي بقعة خالية من الناس ، لا تحرسها غير قوة صغيرة من الجنود في برج قائم رأت أن تنسحب بغير قتال حقناً للدماء أمام طوفان الفرق النازلة من الأسطول بمدافعها وعتادها الحربي .

فلنذكر جيداً هذا اليوم ولا ننسه ، لأنه يحمل ذكريات

العدوان الفرنسى على الأرض الأفريقية على بر الجزائر الشهيد .

وبعد مائة عام ، أى فى ١٩ يونية ١٩٣٠ احتفلت فرنسا بهذا اليوم فأثارت بعملها حمية شرذمة من أباة الجزائريين وأحرارهم وخرجوا من ديارهم يجوبون الممالك ، حتى لا يروا بأعينهم فى ديارهم وأوطانهم ذل يوم يحتفل فيه الغاصب ويرفع أعلامه على أنقاض الوطن الجريح والشعب الشهيد ، فلقينى جماعة منهم فى مدينة استانبول ، وذكروا لى مشاهد عما يلاقونه من عنت وما صارت إليه أوطانهم ومرابعهم ، وهى البلاد العزيزة التى حملت أعلام المرابطين والموحدين وقبائل المسلمين من العرب والبربر ، وكانت لهم السيادة والقيادة والحول والقوة أيام كانت ترتج أمام أمجادهم وعزائمهم جحافل الفرنجة وتخشاهم الدنيا .

وجاء منهم فريق إلى مصر ، فأمضى أياماً من غير أن يسمع لهم صوت أو أنين ، ولما جاء الفوج الثانى أرجعهم بوليس مصر وشرطة الموانى بحجة أن مصر لم تكن موقعة على جوازات سفرهم . وضحكت من الأيام التى جملت بوليسنا حريصاً على تنفيذ تعليمات حكومة الاستعمار الفرنسية متيقظاً ألا يدخل مصر العربية من هم من أقرب الشعوب إلينا وألصقهم بنا ، ومن يحملون تأشيرة مصرية قانونية ، ولا أدرى من الذى لفت الأنظار إليهم ، ومن حال بينهم وبين مصر ، ومن أعطى التعليمات بإعادتهم .

وارتجت مدن الجزائر فى يونية ١٨٣٠ ، وقامت القائمة فيها ، والوالى يجمع جنده ويحشدهم ويرسل إلى البلاد والأقاليم يدعو للجهاد والدفاع ، ويطلب النجدة من وهران وقسنطينة ، وخرجت الجموع لمهاجمة معسكر الفرنسيين ، فاقتحموا المراكز الأمامية أمام تراجع الجنود الفرنسية ، حتى إذا صاروا تحت مرمى المدفعية حصدتهم بنيرانها حصداً ، فاختلت صفوفهم ، وأخلوا الأماكن التى احتلوها ، وتقدم الفرنسيون ، وكانت هذه أول ملحمة على أرض الجزائر فى يوم ٢٥ يونية ١٨٣٠

وكانت قوات والى الجزائر محتشدة داخل حصون فى ناحية أبى جارية ، فخرجت منها للقتال والتحمت مرة ثانية مع الفرنسيين فلم تصبر على النيران ، وارتدت وأخلت هذا المعسكر فاحتله العدو ثم تقدموا منه واحتلوا بساتين المدينة وأطرافها وبدأوا حصارها .

وبعد أيام أخذوا فى إطلاق نيران المدفعية فأصابت قذائفها برج مولاى الحسن وكانت فيه مخازن البارود . فأصابتها قنبلة سببت انفجاراً هائلا ، فاندك البرج على من فيه ، وتطايرت حجارته ، وتهدمت عدة منازل ومات خلق كثير تحت الأنقاض

وبهذه النائبة اهتزت أركان المدينة وفقدت روح المقاومة واستولى الرعب والقلق على السكان فقرر الوالى تسليم المدينة .

وفى صباح يوم ٦ يولية ١٨٣٠ الموافق ١٣ المحرم ١٢٤٦ دخلت جيوش فرنسا من الباب الجديد وأزلت الأعلام العثمانية من القصبة والأبراج ورفعت الرايات الفرنسية واحتلت الجنود القصبة والقلاع والشواطىء وزالت من الوجود حكومة الجزائر الإسلامية .

وتم العدوان على الأرض التى أمضت فرنسا السنين تحلم بوضع اليد عليها بعد أن فقدت أملاكها فى الهند وأميركا وجزائر المحيطات ، ولم يرد فى ذكر شروط الهدنة والتسليم نص على الاحتفاظ بحقوق الأهالى وتقرير مصيرهم سوى النص الاستعمارى الذى وضعه نابليون فى مصر وهو : احترام الديانة المحمدية وعدم التعرض لنساء المسلمين .

وهو النص الذى ما انفك دعاة الاستعمار يرددونه فى كتبهم وأبحاثهم وخطبهم دليلا على روح التسامح ، ويقولون وماذا يريد المسلمون وقد تركنا لهم حرية التدين وحفظنا لهم أعراضهم ، كأن حياتهم وقف على هذا لا تتعداه أو كأنهم أهل آخرة لا تشغلهم أمور الدنيا فلا تهمهم العاجلة ما داموا قد ضمنوا الآجلة وأخذوا بأيديهم مفاتيح الجنان .

ويقول مؤرخو المسلمين : اهتزت لهذه النائبة المشارق والمغارب وكانت من أعظم النوائب . والحقيقة أن العالم الإسلامى الذى عهدناه يهتز لما يحدث فى كل ركن منه لم يتحرك لهذه الكارثة ولا لما تلاها من نكبات وإنما تحرك القطر الجزائرى وحده أمام العدوان وقامت قبائله ورجاله يذودون عن حياضهم وانضموا تحت لواء الأمير عبد القادر ، يكتبون بدمائهم ملحمة من ملاحم الحروب القاسية ، فى تاريخ الإسلام الذى واجه الحقائق وقال :

« لقد تبينت ما قدر على وهأنذا مستعد للاقدام » .

ولكن بعد مضى قرن من الزمن يقف أهل الجزائر مرة أخرى للامتحان أمام فرنسا ويرددون هذا القول لقد عرفوا وتبينوا ما كتبته لهم الأقدار فهل هم على عهد الإقدام قائمون ؟

هذا ما ستفسره الأيام .

وسنرى فى القسم التالى ما كان من هذه الواقعة الخالدة

أحمد رمزى

عشرة أيام في الشام (*)

للأستاذ علي الطنطاوي

يمضي المسافر أياماً طوالا لا يقطع فيها إلا أذرعاً من طريقه، ثم يجتاز الفراسخ والأميال في ساعات، ويعيش المرء سنين لا يفهم فيها من أسرار الحياة، ولا يرى من معالم الكون إلا الأقل، ثم يرى في لحظة أخفى المعالم، ويفهم أعمق الأسرار، وكذلك كان شأني:

سرت على طريق العمر قريباً من أربعين سنة، فلم أدرك من حقائق الحياة حولي، ولم أعرف من خلائق الناس، مثل الذي أدركته وعرفته في هذه الأيام العشرة التي (طرت) فيها لجأة إلى دمشق، ثم عدت طائراً منها، وعليّ دين أكاد أعجز عن قضائه، وورائي عدو ألحّ على بإيذائه وهجائه، وذو سلطان غضبان عليّ لا أعرف السبيل إلى استرضائه. ولكني مع هذا عدت رابحاً لأني تعلمت فصولا من كتاب الحياة كنت أجهلها، وهذا قليل من كثير مما تعلمت:

— ١ —

كان أقصى علمي بالصديق أنه الذي يألفني وآلفه، ويأنس بي وآنس به، ويسأل عني إن غبت، ويزورني إن حضرت، ويستقبلني إن زرته، ويصغي إن حدثته، وكنت أعتزّ بصداقات رجال أحسبني نلت بهم ما تمناه المأمون وهو خليفة وعجز عنه، وماعدّه الأولون ثالث المستحيلات، وحشروه مع الغول والعنقاء ولم أحتج إلى واحد منهم كي أجربه، فلما كانت هذه التجربة (تجربة دخول الانتخابات) رأيت أكثر هذه الصداقات كأنها بقايا ثلوج الشتاء، تحت شمس الصيف، سرعان ما يذهب بياضها ونقاؤها، ثم تذوب ثم تجري على التراب فتكون سواقي عكرة تنحدر إلى الحضيض، بعد أن كانت في العلاء. ما بقي بين يدي من هذه المودات، إلا كالذي يبقى من هاتيك الثلوج على صخور الجبل!

لقد تنكر لي رجال كانوا رفاقي في السفر وفي الحضر، وإخواني في الصبا والشباب، وأعرضوا عني إيثاراً للراحة، أو هرباً من إغضاب الحكومة، أو فراراً من المشاكل، وحبسوا عن مساعدتي أقلاماً لهم وألسنة طالما شددت أزرها، ودافعت عنها بقلمي ولساني، وأمسكوا عن نصرتي أكفاً طالما امتدت إليها — مصافحة مؤازرة — كفي. وقالوا: ما لنا ولمرشح نساعده على الحكومة، ونقويه عليها، وهي ذات السلطان، وبيدها العطاء والحرمان؟

ونسوا أني موظف في الحكومة، لست عدواً لها، ونسوا عهود الإخاء، وأيام الصفاء. هذا وما سقطت السقطة التي لا يرجى لها قيام، ولا كنت تاجراً أفلس، ولا موظفاً عزل، ولا صحيحاً أزمن، ولا حكم علي بسجن أو نفي، وبقي عيالي من بعدي أمانة عند الصديق، وإنما هي تجربة هينة، فكيف لو كان شيء من ذاك؟ وعلى من أعتمد بعد اليوم؟

سأعتمد على الله ثم على هؤلاء الذين وجدت من إخلاصهم، وحبهم، وعطفهم عليّ، أيام العسرة، ما هو أثمن عندي من النيابة والوزارة، ومناصب الأرض كلها. ولن أنسى أبداً أن هؤلاء هم الذين أبقوا على القليل من ثقتي بهذا الإنسان وأنقذوني من أن أكفر به كفراً مركباً تركيباً مزجياً كحضرموت... لا يستطيع أخونا عبد المنعم خلاف أن يحله أو يزيله ولو أنزل عليه في دينه الجديد كتاب آخر! وأن أومن بأن الكلاب والحمير أوفى من الناس وأحفظ للوداد.

— ٢ —

وكنت أحسب كل متظاهر بالتقى تقياً، وكل لاهج بذكر التصوف صوفياً، وكل مزهد في الدنيا زاهداً، وكل داع للعبادة عابداً، وأحبهم جميعاً وأراهم أهل الدين، وأرباب الإخلاص، ولا يبلغ وهمي أن يكون في الألف منهم مراء واحد أو خداع، فلما جربتهم وجدت...

لا أحب أن أقول ماذا وجدت منهم، لأني أظلم العلماء إذا أخذتهم بجريرة نفر تسلطوا على (رابطة العلماء) التي هللنا لظهورها وباركنا يوم إنشائها، وسيروها على هواهم، وكفوا أيدي العلماء الأجلاء من أعضائها

(*) تتمة قصة (ثلوج حزيران) في العدد الآتي إن شاء الله.

ولكن أقول إن الصالح المصلح ، والعالم العامل ، هو من يجعل هواه تبعاً لحكم دينه ، ويضيع منفعته إن كان فيها مضرة أمته ، ويؤخر نفسه ويقدم من هو أصلح منه ، ويحكم الشرع في دقيق أمره وجليله ، وظاهره وخفيه ، أما تكوير العمة ، وتطويل اللحية ، وحسن الكلام ، وسائر هاتيك المظاهر ، فهو آخر ما يستدل به على الصلاح وهو أهون شيء عند الله الذي لا ينظر إلى الصور وإنما ينظر إلى السرائر ، وعند الناس .

— ٣ —

وكنت أكبر هؤلاء الذين وقفوا أنفسهم على الجمعيات الخيرية ، وقصروا عليها جهودهم وآثروا خدمة أمتهم على راحتهم ، وأراهم مثلا في الاخلاص من أعلى الأمثال ، لأني لا أسمع عنهم إلا الرغبة في إعلاء كلمة الله ، واحقاق الحق ، وإذاعة الخير ، فلما بلوتهم في هذه الأيام المشرة وجدت أكثر الجمعيات يسيرها رجل أو رجال يستبدون بها ، ويسمون لها أعضاءها ممن يعرفونهم موافقين لهم ، ووجدت في هؤلاء ، على إخلاص بعضهم وأمانتهم ...

أأقول ماذا وجدت ، فأضع في أيدي خصوم الإسلام سلاحاً جديداً يقاتلون به أهله ؟ أم أسكت عن بيان الحق ؟

المسألة مشكلة ..

وأنا أسأل الله أن يعجل اليوم الذي نجد فيه رجال هذه الجمعيات قد نسوا نفوسهم وأهواءهم فجعلوها كلها جمعية واحدة ، لها فروع وأقسام ، اذ لا يعقل أن تتعدد الجمعيات ما دامت تزعم أن غايتها واحدة هي خدمة الحق والخير ، وأن يكون القائمون على هذه الجمعية أمناء يعلمون أن لكل مسلم حقاً في أموالها يحاسبهم يوم القيامة على كل قرش منه أنفقوه في غير وجهه ، وعلى كل مقعد للجمعية قعدوا عليه لغير مصالحها ، ودار لها أقاموا فيها ساعة لغير خدمتها ، وسيارة لها ركبوها من غير ضرورة لركوبها ، وراتب أخذوه لأنفسهم أو أعطوه موظفاً أقاموه ، ما دامت المصالح العامة تسير بغير هذا الموظف ، وتضمن بغير هذا الراتب .

فهل نرى هذا اليوم ؟

إذا لم أره ، فحسبي أني قد رأيت حقيقة هذه الجمعيات وكنت لا أرى من قبل إلا الستار اللماع الذي يخفيها

— ٤ —

وكنت أقرأ مهاترات الصحف الحزبية في مصر والشام ، وما تسوق من تهم ، وما تصب من فرى ، فأرى المبالغة ظاهرة ، ولكني أقول أنه لا دخان من غير نار . ما كنت أظن أن القحة في الشر تبلغ برجل أن يفترى كذباً يعلم أنه لن يصدقه أحد ، ولا يقبله عدو فضلا عن صديق ، وأحسن الظن بالإبشر ، فاحسب أنه لا يزال في نفوسهم بقية من الوفاء والحياء ، فهم يقدرون الاخاء ، ويستحيون من اختراع الكذب المحض ، فلما قرأت ما كتب في الصحف عني وعن غيري وجدتني قد وضعت ظني الحسن في غير موضعه وأنا رجل فيَّ نقائص كثيرة ، وعيوب جمة ، ويستطيع من يكتب عني أن يعرض لها ، فيكون قد نال مني وبلغ ما أراد من هجائي ، اما أن تبلغ بكاتب قلة الفهم ، والجهالة بأصول الشتم ، إلى أن ينسى عيوبي كلها ثم لا يلق إلا أشياء أنا أبعد الناس عنها يلصقها بي فيضحك الناس عليه ، فهذا يدعو إلى الأسف على ضياع (فن الهجاء) في هذه الأيام .

لم تجد هذه الصحف ما تقوله عني إلا أن تعرض تعريضاً غامضاً بسيرتي في العراق ، وتقول أني أسأت بقلمي لوطني لأني انتقدت في الرسالة ما كان في احتفال الجلاء من تكشف وبلاء ، وتنقل عن مجلة تصدر في دير الزور أني كنت من صنائع الفرنسيين

أما سيرتي في العراق ، فإن هؤلاء يعلمون أن الرسالة تقرأ في العراق أكثر من جرائدهم ، وأنا أستحلف في الرسالة كل من يعلم عني مخزية في العراق أن ينشرها في الصحف أو يبعث بها إلى هؤلاء الخصوم . وماذا صنعت في العراق ويحكم ؟ هل فجرت؟ هل سرقت ؟ هل كنت جاهلا في العلم الذي أدرسه ، أومهملا في العمل الذي أمارسه ؟ وهل كان في كل من قدم العراق مدرساً ، من هو أحفظ لوده ، وأكثر (بعد الدكتور زكي مبارك) كتابة عنه مني ؟

أما صلتي بالفرنسيين فمن كان يعلم أني عرفت فرنسياً غير من كان معلماً أو مستشاراً في الوزارة فليقل ، ومن كان يعلم أنها خلت سنة مدرسية من نقلي مرتين لخلافي مع الوزارة — وكانت الوزارة

هي المستشار ، أو يعلم أني مدحت فرنسياً بلسان أو قلم أو أعنته بيد أو يعرف رجلا كتب في سب فرنسا مثل الذي كتبت ، حتى يوم سقطت باريز وكانت الحرب مستمرة ، والفرنسيون حاكمين؟ فليقل أما أني أسأت لوطني في الرسالة فهذا هذيان لا يقبل من محموم .

وهل جرى قلم كاتب في القديم والحديث ، بوصف محاسن الشام ، وتمجيد أيامها ، وتصوير جهادها ، بمثل ماجرى به قلمي في الرسالة منذ سنة ١٩٣٣ إلى اليوم ، وفي فتى العرب ، واليوم ، والف باء ، والزهراء ، قبل أن تنشأ الرسالة ، وهذا كلام ما كنت أظن أني سأقوله يوماً من الأيام ، ولكني اضطررت إليه ، وأنا أعتذر إلى القراء ، وأستغفر الله ، ولن أعود إلى مثله

— ٥ —

وبعد فأنا رجل قاض وأديب ، ولكني لم أكن أعرف قبل هذه الأيام قيمة ما أنا فيه ، ولقد حمدت الله أن انتهت هذه الأزمة وعدت قاضياً أقول الحق أيا كان أثره ، وأديباً يشرك قراءه في نعيمه وبؤسه ، وخواطر نفسه ، وحديث يومه وأمسه ، لا يكتم عنهم أمراً ، ولا يمسك سراً ، ونجوت من السياسة وشرورها .

ومالي وللسياسة ؟ وما لبست لها لباسها ، ولا أعددت لها سلاحها ، ولا عرفت مسالكها ، ورب جاهل جال في الطرقات ، وصاح في المواكب ، وولج وخرج ، وخالط الكبار والصغار ، وصحب الأعلياء والأدنياء ، وعرف لسان كل مخاطبه بلسانه ، أقدر على السياسة مني ومن كل أديب في الدنيا وكل عالم .

ورب رجل مثل هذا لا يموت حتى يصير اسمه ملء الأسماع ، وملء الصحائف ، ويكون علماً في طريق التاريخ ، وآلاف مثلي في (أخصاصهم) لا يدري بهم أحد !

ولكني راض بما أنا عليه ، قانع به ، لا أبتغي أكثر منه ، وهل أبتغي أكثر من مرتب كاف يريحني من الكدح للعيش ، والسعي للخبز ، وعمل لا يأخذ من وقتي وذهني إلا الأقل ، أقوم به بما أستطيع من الأمانة ، فآخذ الراتب بما يمكن من الحل ، ثم أتصل بقراء أشاركهم أفراحي وأتراحي ، وبصحب آنس بهم ويأنسون بي ، وأهل أخلص لهم ويخلصون لي ؟

فما ذا بعد هذا؟ وهل النائب أو الوزير أو الرئيس ، أسعد نفساً ، وأهدأ بالا مني ؟ وهل السلطان أكبر من الأديب ؟ هل النعمان أعظم من النابغة ؟ وسيف الدولة أجل من المتنبي ؟ والخديو عباس أخلد من شوقي ؟ وهل يبني الحكومات ويهدمها ، وينشئ الممالك ويدمرها ، ويرفع الأمم ويخفضها ، إلا الأديب ؟

فمالي وللسياسة ، وأنا قد تشرفت بأن أسير في ذيل ركب الأدباء ، إلى سوح الخلود ؟

***

لقد كانت تجربة لن أعيدها ، ولو جرتني إليها كل حروف الجر . لقد كانت تجربة تعلمت منها دروساً جمة ، أهمها أني لست مخلوقاً للسياسة ، إن السياسي هو الذي يقول للحمار : أنت غزال بأذنين طويلتين ! وأنا لا أقول للحمار ، إلا يا حمار ، فإن غضب فدونه (بردى) !

(القاهرة) **علي الطنطاوي**

حجـــة تاريخيـــة

للدكتـــور جواد علي

نعم حجة تاريخية من تلك الحجج التي يتذرع بها الدّعون ولكنها من أوهى ماعرفه المؤرخون . فلسطين وطن العبرانيين ! فيها نشأ هذا الشعب وإليها يريد العودة بعد هجرة طويلة تزيد على عشرين قرناً . يريد أن يستردها وأن يكون فيها ثقافة يهودية ووطناً يجمع شمل يهود العالم .

لا أعتقد أن رجلا صاحب منطق يجازف بشخصيته فيقول مثل هذا القول ؛ لأن نبش الماضي السحيق والحكم عليه معناه تغيير خارطة العالم وتوزيع الأراضي على شكل جديد . ولو أخذنا بهذا المبدأ لوجب علينا ردّ دعوى الصهيونية مقدماً لأن الأرض التي يقال لها عند اليهود « أرز أسرائيل » « Erety israel » أي «أرض إسرائيل» لم تكن أرض إسرائيل بل كانت « أرض الكنعانيين » و « أرض الفلسطينيين » قبل أن يتبرع متمصبو التوراة بمنح هذه الأرض إلى الإسرائيليين باسم « إله إسرائيل » وقبل أن تعرف عند العبرانيين المتأخرين باسم « أرض الميعاد » « the Promised land » .

وكلمة « فلسطين » نفسها حجة قوية تطعن مزاعم الصهيونيين في الصميم وتردّ دعواهم ، لأنها تشـير إلى نسبة الأرض إلى شعب قديم كان يسكن في هذا الوضع قبل مجيء العبرانيين وكان يقال له « الفلسطينون » « Philstines » وقد عرفت الأرض التي كانوا يقيمون بها والتي هي السهل الساحلي في الأغلب في التوراة باسم « فلسطيا » « Philistia » نسبة إلى هذا الشعب[1] ثم أطلقت على كل الأراضي التي أقام بها الإسرائيليون فيا بعد .

وقد ذكرت فلسطين في النصوص العبرانيـــة بلفظة « Pêlishtim » « بلشتيم » و « بلشتيم » « Pêlishtiyyim » وقيل « لفلسطية » وهي النطقة التي كان يقيم فيها « الفلسطينون » « Peleshethi » « بايشيت » وقيل للفلسطينيين « Pelishti » « بلشتي »[1] وتقابلها في النصوص المصرية « Perusit » و « Pelista. »[2] .

ولابد أن تكون للفلسطينيين قوة وشكيمة دفعت اليهود إلى تسمية « أرز كنمان » أي « أرض كنمان » كما كانت تعرف في الأسفار الأولى للتوراة باسم « فلسطين » حتى تغلبت على كلمة « أرز إسرائيل » أي أرض إسرائيل . والأرض الموعودة . وقد أطلقها الكتاب اليهود المتأخرون الذين دونوا الأسفار المتأخرة فشاعت بين الشعوب الأخرى منذ ذلك الحين . وقد ذكر المؤرخ « هيرودوتس » أن العرب كانوا قد تمكنوا من الدخول إلى منطقة « فلسطية » قبل أن يتمكن من ذلك الإسرائيليون وأنهم كانوا في تلك المنطقة في أيامه[3] .

لم يترك البشر الأولون الذين سكنوا هذه المنطقة قبل العصور التاريخية آثاراً يمكن التعرف منها على طبيعتهم . وكل ما يمكن أن يقال عنهم إنهم كانوا يسكنون المغاور والكهوف وبظهر أنها أصبحت في العصور التاريخية تحت نفوذ « الأكاديين » كما يتبين ذلك من النقوش[4] .

وفي الألف الثالث قبل المسيح كان يقيم في فلسطين شعب لا نستطيع أن نعرف من هويته شيئاً ؛ إذ أن العظام التي عثر عليها في المغاور والكهوف وفي الحفريات التي أجريت في منطقة « جيزر » كانت في حالة تلف شديد . والظاهر أن ذلك الشعب كان من شعوب البحر الأبيض المتوسط . ولعل « الحوريين » « horites » الذين ورد ذكرهم في التوراة هم من نسل هذا الشعب القديم[5] . ويظهر مما ورد في التوراة كذلك أن « الحوريين » هم سكنة منطقة « أدوم » و « جبل سعير » وأنهم من نسل « عيسو » « Essou » الذي هو جدّ الأدوميين « Edonite » وأنهم كانوا من سكنة الكهوف في النطقة التي أطلق عليها اليونان اسم « troglsdytes » والتي كان يسكنها العرب في أيام « سترابو » ولذلك سماها « troglodyte Arabians »

(١) Hastinqs Dictionary of ute Bible, P. 724
التوراة ص ١٠ : ١٤ و ٢٣ : ٣١ مزامير ٦٠ : ٨ و ١٠٨ : ٩ أرميا ٢٥ : ٢٠ .

(١) Hastiuhs Dictionary of the Bible, P 24

(٢) Breasted, Ancient Records Iv, 274 ff and Aistory

(٣) Enex, Biblica, P, 3550,

(٤) Patou, history of Syria and Palastine hastings' Dictionary of the Bible, P, 673

(٥) التكوين إصحاح ١٤ آية ٦ ، Robinosn' BR P, 2' 129,
W. M. müller Asien und Europa, 148.

أو « العرب سكنة الكهوف »[1] والذين كان يقال لهم « Erembi » في اليونانية القديمة . ويرى « سترابو » أن هذه الكلمة تصحيف « Arambi » أي « Arabi » بمعنى «عرب» و « عربى »[2] .

وفى حوالى سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد لعبت الشعوب السامية دوراً هاماً فى فلسطين ؛ وقد عرف هؤلاء باسم « الكنعانيين » «Canaanites» والذين يقال لهم « العموريون » «amorites» كذلك . وقد أطلقت التوراة وجميع الكتاب على أرض فلسطين اسم « أرض كنعان » وقد عرفوا فى النصوص المصرية باسم « Kinahhi » و« Kinahri » . ويرى بعض العلماء أن «العموريين» أقدم من الكنعانيين ، وأن الكنعانيين هم فرع منهم بدليل تشابه اللهجات والأسماء وعدم تمييز التوراة فى كثير من المواضع بين الجنسين[3] .

وكان « حورابى » من ملوك العموريين فى العراق . وهم الذين سكنوا سهل « شنعاد » ويرى بعض العلماء أن العموريين هم من أسلاف العرب لوجود تشابه كبير فى طرق الحياة والأسماء واللغة فيما بين العرب والعموريين[4] .

ويرى العلماء أن الكنعانيين والعموريين ظلوا محافظين على خصائصهم الجسمية وإن كانوا قد بدّلوا دياناتهم فاعتنق قسم كبير منهم الديانة اليهودية ثم اعتنقوا بعد ذلك الديانة المسيحية وتثقفوا بالثقافة الآرامية التى تغلبت على اليهودية أيضاً . ولما تحررت فلسطين من ربقة البيزنطيين وعادت إلى أصحابها الشرعيين كان أكثر هؤلاء قد تثقفوا بالثقافة العربية الآرامية فحاربوا فى صفوف المسلمين ضد أبناء دينهم البيزنطيين ، ثم اعتنق أكثرهم الديانة الإسلامية وتكلموا باللغة العربية . وأما الذين فضلوا البقاء على ديانتهم وهى المســيحية فإنهم تكلموا باللغــة العربية التى تكلموها قبل الإسلام ولا زالوا يتكلمون بها حتى اليوم ، وقد شاركوا إخوانهم فى تقدم بلادهم وفى تقدم الخلافة الإسلامية ولم

(١) Strabo The Geography. tranoslated by hamilton Sordon 1912 - in Three vols. vol, P, 210

(٢) Strapo p qel 1p, 66

(٣) müller, asien and Europe, S—205 patou Early history of Syria and palastine p 63

(٤) زيدان . العرب قبل الإسلام ص ٤٩
Ency Brita xxl p, 651 art Son Kiug p 140 Dasasud p 108 Babylonion Expedition qolz

يكن الدين ليميز بين الطرفين . ولما وقعت الحروب الصليبية اشترك هؤلاء مع إخوانهم المسلمين فى مقاومة الغزاة وأبلوا فى ذلك بلاء حسناً ولا يزالوا يحاربون من أجل فلسطين .

ويمكن ملاحظة الخواص والمزايا الجسمية واللغوية والصور الكنعانية العمورية حتى الآن بين السكان الفلسطينيين الأصليين وهم القرويون والفلاحون الذين يمثلون أقدم شعوب فلسطين والذين لم تذهب عنهم مميزاتهم التى ورثوها عن ألوف من السنين وقبل مجيء المهاجرين من اليهود بكثير . والذين لم تتمكن السنون من تغييرهم على الرغم من الحوادث الدامية الطويلة التى جرت على هذه البلاد[1] .

وبالنظر إلى اتصال فلسطين بمصر اتصالا طبيعياً أصبحت مقدراتها ومقدرات مصر مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً كلياً . وهذا أمر هام يجب الالتفات إليه لأن عدم الاهتمام به معناه تجاهل أمر طبيعى من الأمور المفروغ منها . وقد خضعت فلسطين قبل هذا العهد الذى نتحدث عنه إلى الأسر الفرعونية المختلفة . وقد دخلت فى أيام « تحتمس الثالث » « حوالى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد » وفى أيام « أمنهوتب » « أمنحوتب الثالث » حوالى سنة ١٤٥٠ قبل الميلاد» فى حكم المصريين تماماً وأصبحت من المقاطعات الفرعونية يحكمها ملوك محليون يخضعون لفرعون وللحكام الذين يعينهم عليهم[2] .

وقد شغل الفرعون « امنحوتب الرابع » بالاصلاحات الدينية التى حاول إدخالها إلى الشعب المصرى ومن جملة ذلك عقيدة التوحيــــد عن إدارة أملاك مصر والشؤون الداخلية المصرية فانتهز أعداؤه هذه الفرصة وثار الحكام فى الداخل والخارج على « أمنهوتب » لأنه جاء فى نظرهم ببدعة جديدة وأخذت الممتلكات المصرية فى الخارج تستقل الواحدة بعد الأخرى ومن جملتها مدن فلسطين[3] .

وتتحدث ألواح « تل العمارنة » عن شعب أخذ يهاجم أرض فلسطين اسمه « Khabiri » « خبيرى » وقد ارتأى قسم من علماء التوراة أن هذا الشعب هو «العبرى» أو «العبرانيون»

(١) Hastngs Dictionary of the Bible p 673 Ency Bibl p, 3550

(٢) hastings Dictionary of the Bibla p 673

(٣) Breasted. history of Egypt. paton. histoay of Syria ond palastiee

أُمَّـــان

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلانى

لا أدرى اين قرأت ان أجمل منظر فى الدنيا هو منظر الأم الشابة ، وهو قول ينطبق على الواقع كثيراً ؛ غير أنى فى الوقت ذاته ارانى أتصور أن أقبح منظر فى الدنيا هو منظر الأم الشابة أيضاً !

***

هذه الفتاة الشابة الجميلة تمر من هذا الشارع كل يوم فى ردائها الأسود الجميل فتثير على جانبى الطريق جدالا بين الناظرين إليها ، فى قامتها الأنيقة وانسدال السواد عليها ، وفى عينيها الباهرتين وتجللهما بالصمت المبين ، وفى شعرها الذهبى الرائع وإهمال تنسيقه على نحو ما يليق به . تثير جدالا بين الناظرين إليها فينبرى دعى يقول بأن هذه الفاتنة احتسبت أباها أو ماتت عنها أمها فهى تتشح بالسواد على أحدهما . ويقول دعى آخر إن ظهور الحزن عليها وتطامنه فى عينيها الساجيتين ليوىء بأنها احتسبتهما جميعاً . ولا ترجح كفة أحد ؛ فإن السر لا يطفو على الوجوه جميعاً ، وإن القلب لا ينضح بما فيه دائماً ، فتسير الغانية من دارها إلى حيث تريد ، وتعود إلى دارها من حيث انتهت لا يجد فى استشفاف أمرها جديد . والراجح فى الظن أن الغانية جاءت هذا البلد وافدة من مواطن الذكريات لتطوى ماضياً بأحداثه الكثيرة طى السجل للكتاب ، ولتجد فى هذا المنهج ذى الوتيرة الجديدة المحدودة بلسما للجرح فى صيدلية الزمن ، فإن فيها أنجع الأدوية لأخبث الجراح .

وما كان ليفوتها أن تلج بيت الله فى أيام الآحاد تنفض فى ساحته الكبرى خلجات الضمير وتمد بصرها راجية راحة النفس وطمأنينة الحس ، وتسأله العون وتسترفده الرعاية ، فقد ذهب

غير أنه لا توجد هنالك أدلة مقنعة تؤيد أن « الخبيريين » هم « العبرانيون » بالذات(١) . ولو أن جماعة من علماء اليهود تحاول البرهنة على ذلك لتظهر أن اليهود كانوا قد دخلوا أرض فلسطين منذ هذا العهد .

والذى يظهر من التوراة أن « العبرانيين » كانوا أرقاء فى مصر ثم خرجوا منها هاربين حوالى القرن الثالث عشر قبل الميلاد تحت قيادة زعيم لهم هو « يشوع » « Joshua » الذى حل محل « موسى » وخلفه ، وهو ابن « نون » من سبط « إفرايم » الذى عبر الأردن وقاد جماعة « إسرائيل » إلى « أرض الموعد » وحارب شعب كنعان ست سنين وأخذ أرضهم وقسمها بين الإسرائيليين . وسقطت على يديه أسوار أريحا وست أمارات صغيرة ، غير أن الإسرائيليين لم يتمكنوا من فتح كل فلسطين ومن التغلب على الأمارات الوطنية وعلى مقاومة كل الكنعانيين(٢) .

ويفهم من الكتابات القديمة للتوراة أن من الأسفار المكتوبة قبل الأسفار التى أخذنا منها روايتنا الأولى أن الإسرائيليين عبروا إلى حدود فلسطين ولم يكن على رأسهم قائد أو زعيم بل تقدموا على هيئة قبائل متفرقة ثم صاروا يهاجمون المدن الفلسطينية الضعيفة من جهات مختلفة ولم يتمكنوا من الاستيلاء إلا على نواح قليلة من فلسطين ، وهذا ما يلائم ماجاء فى نصوص « تل العمارنة » كل الملاءمة(١) .

لم يتمكن الغزاة من الاستيلاء على كل فلسطين ولم يتمكنوا من احتلال السهل الخصب المهم المسيطر على البحر الأبيض المتوسط وهو سهل « فلسطية » نسبة إلى سكانه القدماء وهم « الفلسطينيون » « Philistines » وظل الفلاحون والقرويون القدماء على تقاليدهم القديمة وفى محلاتهم مثل « الجبعونيين » « Gibeanites » الذين كانوا يقيمون فى مدينة « جبع » « Gileon » والذين ظلوا يقاومون الإسرائيليين مع أن مدينتهم هذه لا تبعد سوى خمسة أميال تقريباً عن جنوب القدس والتى تقع فى موضع « الجب » فى الوقت الحاضر ، وقد اشتركت مع الملوك « الكنعانيين » فى محاربة « الإسرائيليين » ومهاجمتهم مراراً عديدة ؛ وقد اضطروا إلى مغادرة وطنهم بعد أن دخلت فى حوزة « البنياميين » غير أنهم لم يذهبوا بعيداً عنهم واضطر العجزة منهم إلى اعتناق الديانة الإسرائيلية غير أن كثرتهم ظلت تحارب الإسرائيليين .

جواد على

(١) Eneh. Bibl. p, 1984, hastinqs . p, 673 hommel A h T - 130, Kohut, memorial Studies p 110

(٢) Èney Bibl p 1717

(١) hastmqs p 704 Stenuig DB 764

الراعي فيدلها ذهابه من حال إلى حال ...

ألا من يكون راعيها الذي تشكو خلو مكانه إلى الله آسي القلوب المحطمة التي لا تُشعب؟ ومن يكون راعيها هذا الذي تلتقي بطيفه في ساحة الله الكبرى فتنعم بالذكرى تحيط بالطيف، وبأنغام الأرغن والصلاة الصاعدة إلى ملكوت السماء تحيط بالذكرى .

ثم تخضل عينان من دون العيون بأدمع قليلة بالغة السخونة ..
ثم تنفرج شفتان من دون الشفاه بصلاة قصيرة .. ثم تنهنه الدمعة .. وتطبق الشفتان ، ثم تستدير القامة الفارعة الجميلة فتيمم شطر الباب ثم تمتد اليد بالصدقات للفقراء والمساكين ؛ ثم يتكرر المنهج اليومي محاطاً بالذي يقول أنها احتسبت أباها ، والذي يقول أنها فقدت أمها أو فقدتهما جميعاً .

وإنه ليوم من أيام الآحاد في الربيع الباسم وقد انتثرت فراشات الحقول وتحمل النسيم رسائل الفل والياسمين وجاءت الساعة التي تقف فيها الغانية في ساحة الله بقلب رققته الذكرى المفعمة هذه المرة بمعاني الربيع ، وانكفأت الحسناء كمعهدها كل مرة ولكنها ساقها التوت وسقطت على الأرض سقطة غير متوقعة ، فأنهضها رجل بجانبها ورافقها حتى الباب ... ثم تمنى لها العافية وانصرف .

ورآها مرة أخرى فسأل عنها ، ثم كان طريقهما واحداً فتحادثا.
وقد يلذ للإنسان أن يتحدث عن نفسه ، وقد يلذه أن يسمع .. فتحدثت وسمع ... ثم تحدث فسمعت . . . وقد تقابلا من بعد فعرف منها ما استعصى على المدعى من قبل وما كان خليقاً به وبغيره أن يستعصى عليه ؛ فقد عرف أنها أرملة ، وأن الذي فقدت هو زوجها الذي بنت به في الربيع الخامس عشر من عمرها والذي تخلو بطيفه في ساحة الله الكبرى على نغم الأرغن وصلاة الكاهن خلوة الروح .. بالروح ! . وقالت له فيما قالت إنها أم لابنة أيضاً.
وكان الرجل يصغى لها وهو يرتشف الكلام ارتشافاً ويسكر من جرسه سكراً لا يعرفه إلا صرعى العواطف المؤججة . وأحيط قلب الرجل بشغاف من حسنها وإخلاصها وعرف أنه باخع نفسه على آثارها إن هو لم يخط الخطوات الأخرى في إخراجها من دنياها السابقة إلى دنياها اللاحقة ، وينعم بهواه ويبذل لها النعيم المقيم.
وفاتحها في الأمر مفاتحة الخائف المترقب رفضاً أو إعراضاً وأعاد عليها المفاتحة صابراً متفائلا ، ثم أعاد حتى انتهى معها إلى خاتمة البداية .
فمهدت له زورة في دارها يحتسيان فيها الشاي ويبحثان الموضوع بحثاً جدياً جديداً .

وكان هذا — فرأى الرجل أن يحمل لابنة الحبيبة هدايا يقدمها معاهدة التحالف وحسن الجوار ، فقد تحدجه الطفلة غيرى. وقد يحز في قلبها اللدن الغرير أن تجد رجلا يحل من قلب أمها الحلوة الشابة مكاناً ما . ودخل الرجل تحيلها موقراً بهداياه لابنتها ، هدايا من الألاعيب لبنات خمس أو دونهن قليلا . . . وحفت للقائه .. ثم كان كلام وحديث ، ثم عرض هداياه وسأل عن الطفلة فأخبرته أنها في حاشية الحديقة تلهو وتلعب ، وأن من الخير أن يذهب بالهدايا إليها ويفاجئها بها فإن هذا قد يكون أدعى لبهجتها وسرورها . ففعل الرجل هذا وانتهى إلى الطرف الذي أشارت إليه الأم وهتف باسم الطفلة فردت عليه كاعب على العشب في السابعة عشرة من عمرها وقد استلقت تردد طرفها الأزرق البهي في أكناف كتاب ، وانبهر الرجل واساقطت اللعب من يده ، وفهمت الفتاة القصة وتضاحكت من فعلته ؛ ولكن لغة أخرى تتحدث بغير اللعب ... لأن لغة الكلام انتهت رسالتها . ووقفت الأم الشابة الحلوة ترقب قيام المعجزة .. وتمددها وطغيانها وجمعها القلبين على طرف الحديقة . فلم لا تأتى هي بمعجزة أكبر ولم لا تقول ما يخشع له الطرف وقد رأت ابنتها تستملح الفتى ورأت هذا ينعقد لسانه ويزوغ طرفه ... دلفت الأم تجمع اللعب وقالت وهي تعود إلى البداية ... سأحتفظ بهذه اللعب ملهاة لأطفال ستلهون بهم كثيراً . وانقلبت مسرورة فقد أسعدت قلبين وقد سعدت بالتضحية سعادة لا يعرفها إلا ذوو القلوب الكبرى التي تستطيب الحرمان لتذود عن غيرها الحرمان . فكان منظر هذه الأم الشابة أجمل منظر في الدنيا ... أجمل منظر في الدنيا في ثوبها الأسود وقامتها الهيفاء ... وعينيها الصافيتين وفعلتها السامية ... وستنعم كل يوم بدموعها وتضحيتها لأنها أحيت قلبين وجمعت نفسين ..

* * *

وهذه فتاة شابة دون الجميلة قيل لها إنها جميلة تمشي من هذا الشارع كل يوم فتثير على جانبي الطريق جدالا بين الناظرين إليها فينبري مدع يقول بأن هذه الفتاة أجنبية جاءت هذا البلد مع الحرب كأنها علة من عللها ... فركنت إلى هذا المنزل الذي تديره

هذه البدينة الأجنبية لصلة بين الاثنتين . ويقول مدع آخر بل هي من أهل البلد تهز مع الغواة بدلوهم وتسوم سرح اللهو حيث أساموا ، فتعود في أخريات الليالي حينا وفي أواسطها أحيانا أخر، وتحتسي الخمر حتى تتقطع أحشاؤها وبغيض ماؤها ، ثم تستدرك الفائت على يد الطبيب ، ثم توغل في حركات منعكسة بعضها عن بعض لا ينتظمها تدارك ولا يخترمها نظام فيضل الدعون . . . لأن السر لا يطفو على الوجوه جميعاً ... وإن القلب لا ينضح بما فيه دائما . فتذهب الوجناء من نزلها حيث تربد وترجع إلى نزلها لا يجد في استشفاف ما بهـا جديد ، ويرجح أنها جاءت هذا البلد وافدة تتبدل زماناً ومكاناً ما كانا بالمساعفين ، وقد قيل لها إنها جميلة . وإنها مرهفة الحس عصبية كنود بينها وبين أن يجهز عليها الموت شعرة ... وبينها وبين الجنون شعرة . وبينها وبين الانهيار شعرة ... شعرات ثلاث بينها وبين الحياة فلتمرح ولتطرب . فهي جميلة قصيرة العمر لو شاءت ... مديدته لو شاءت ، فحملت هذا في رأسها وحملته في قلبها وفكرت بهذين جميعاً فأولدتهما أفانين من الأعمال وضروبا من الأقوال . وخيل إليها أن الناس كلهم خاطبون وأن دنياها ملئت بالمدلهين . هذا بينه وبين الانتحار بسببها قليل ... وهذا خطيبه في رفضها ودلالها جليل ... فلتنأ بنفسها عن الماضي نأياً ولتطو ذكريات حبها وزواجها ... وولادة طفلين حبيبين ... وأمومة ... وفشلا وطلاقاً جاهدت من أجله واستحقته استحقاقاً ... على السجل للكتاب . ولتمش في هدأة الليل البهيم في ثوب أسود حتى لا يراها الشيطان الذى استأجرها لرواحه ومغداه ، ولتسر طويلا ، ولتعبر الهرخانة مذعورة ، ولتنظر من ورائها ومن جانبيها وليرها القمر الآفل خيالها المتعقب المتأثر اللحاح المستهزىء ، ولتسر من شارع إلى شارع لا ترى إلا النوافذ المغلقة ولا تبصر إلا السكون المتمطى، ولتغذ السير حافية إن أرادت ، منتعلة إن شاءت، ولتمش في نفس المسالك التي مشت فيها سيارة الخاطب الموهوم ، أو الكاذب المشئوم ، ذلك الذى اتخذ منها ملهاة واتخذت منه مدلها ممنا في الغرام ، ولتسمع ضحكاتها من السيارة التي مرت في دماغها ، ولتذهب إلى ساحة كبرى ليست من سوح الله لا لتنفض همومها وآلامها ، بل لتقف وقفة المدان تستنزل عليها اللعنة الكبرى باردة في هجمة الليل وهدأة الظلام . لتذهب فقد أخذ مدى عينها يستوعب بنية سوداء في المبنى المحيطة بها يحدق بها حديقة ساهمة واجمة . . والكوى راجعة إلى طبعها السادر الحالم في أخريات الليالي لا تفضى بأسرارها . وهنا ؟ هنا . رأت نفسها غير مرة على متن سيارة إلى جانب قريب أو خاطب ... في ألوان زاهيات لا تقربها من الأمومة أبداً .. فهي توكل السيدة البادنة ربة النزل بخصائص الأمومة التي برئت منها .. وتنساب هي مع مقتضيات الحديث من جانبها .. جادة أو هازلة حتى تنقضى الزيارة البتورة بأن تحمل للطفلين عن الأم المحمولة على غارب الهوى . فاكهة يطعمانها عن غير يدها وغير قلبها . فلتقف هنا .. ولتنتظر نزول اللعنة في منبلج الفجر . !

وجاوزت السياج وارتقت إلى الكوة ارتقاء مزعجاً ، فالكوة لا تريدها ، ونظرت على خيوط الشفق البيضاء الأولى بين الأطفال الهاجمين في ذلك الملجأ .. طفلين .. هما الوحيدان اللذان فيهما معنى اليتم .. وما هو باليتم من فقد الأبوين بل من فقد العطف والحنان عند هذه الأم الأغلف قلبها فلا يعقل .. الصم آذانها فلا تسمع . العمى عيونها فلا تبصر ، وطفلاها اللذان حملتهما كرهاً ووضعتهما كرهاً .. في ملجأ الأطفال الغافلين العاثرة جدودهم .. الطائشة حيلهم .. صبرهم هباء .. وأفئدتهم هواء

وتشرق الشمس فتتمطى هذه الأم مفيقة من الحلم الذى أسرى بها ليلا من النزل إلى الملجأ ... من حيث لم تبرح فراشها وإن الأمس بشرابه وسمره وألحانه ودعاباته قد أورثها صداعاً لا بد له من الطبيب والحبيب والقريب والخطيب ، ولا بد من صحب ولدات يرون هذا فيغبطون أو يرثون ، ولا بد أن تبدأ عند ما تساعفها أصابعها الواهنة في خنق شيء ... هو حب الطفلين . . وإنكار عطفها أو علاقتهما بها ... للخطيب الموهوم ليتم أقبح منظر في الدنيا منظر أم شابة مؤزرة بتضحيتها ، لأنها ضحت بقلبين ، وقربت طفلين للصنم الذى خيل إليها أنه يهب الخير ويتم النعمة ... وستبقى هكذا ما بقى خبالها وخيالها ورجالها .

الأم الشابة ! أجمل منظر في الدنيا .. وأقبح منظر في الدنيا .. لا أدرى أين قرأت هذا ، ولكني قرأته وعرفته .. وآمنت به . . فلتنظر الأم أين هي؟ أهي أجمل منظر؟ أم أقبح منظر؟ أما الوسط في هذا فمحال !

منيرة الكيلاني

من وحي الصوم :

عشاق الطعام !!

للشيخ محمد رجب البيومي

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

النهار طويل ممل ، والقيظ لافح محرق ، وقد هجم رمضان والعاشق النهم لا يعذر في محبته . فكم من أكول هده العشق ، وبراه الوجد ، ثم هو لا يقدر على التصريح بما يختلج في صدره لما وقر في نفسه أن القلب لا يتسع للطعام والغرام ، وقد يكون نبهاً فطناً ، فيحاول أن يوفق بين نهمه ووله فيأتي بما يسميه البديعيون حسن التعليل ، كأن يقول :

وإن طعاماً ضم كفي وكفها ... لعمرك عندي في الحياة مبارك
فمن أجلها أستوعب الزاد كله ... ومن أجلها أهوى يدي فأدارك

وأنا لا أدري لماذا تنكر الصبوة من هؤلاء ؟ ولهم عيون تنظر وقلوب تخفق !! ويخيل إليّ أن كراهية الناس للأكول جعلتهم يستنكرون جميع ما يأتيه ، ولو كان عادياً مألوفاً ، وإلا فهل من المنطق الصحيح أن يقول الشاعر في صديقه النهم :

ويعجبني من جعفر أن جعفراً ... ملح على قرص ويبكي على جُمْل
فلو كنت عذرى العلاقة لم تبت ... سميناً وأنساك الهوى كثرة الأكل

ثم ما هي العلاقة بين الحب والامتناع عن الطعام ؟ الحق أن هذا منطق غريب !

ومن جماعة الشرهين من يستغل ذاكرته القوية فيشحنها بشتى الأخبار والأحاديث فإذا استضافه إنسان أخذ يعرض معلوماته عرضاً ، فما يدع صغيرة أو كبيرة مما اختزنه في رأسه إلا كررها مثنى وثلاث ورباع ، فيضيف إلى ثقل بطنه ثقل حديثه ، وهنا يتضاعف البلاء ، وتمتد الكارثة ، وفي هذا الطراز المتكلم يقول حميد بن الأرقط :

يسطرون لنا الأخبار إن نزلوا ... وكلنا سطروا للقم تمكين
باتوا وقصعتنا الصهباء بينهم ... كأن أيديهم فيها سكاكين

والغريب أن ألسنتهم تنعقد غب الطعام فما يكادون ينطقون بكلمة واحدة ، بعد التشدق والتفيهق ، وكأن ازدحام المعدة قد عطل مجرى التفكير ، وأوقف دولاب النطق — وقتاً ما — فغدا الأكول صنماً لا يبين ، وصدق عليه قول القائل :

أتانا ولم يعدله سحبان وائل ... بياناً وعلماً بالذي هو قائل
فما زال منه اللقم حتى كأنه ... من العي لما أن تكلم باقل
يجهز كفاه ويحدر حلقه ... إلى الزور ما ضمت عليه الأنامل

ومن اطلع على هيئة هؤلاء في أثناء تناول الطعام أخذ منه العجب كل مأخذ فإن الدم ليحتقن في وجوههم فتربد ، وإن أيديهم لتسرع في القذف واللقم ، وإن أعضاءهم لا تستقر على حال من القلق ، حتى يبلغوا ما يريدون

« امتنع الحارثي عن مؤاكلة صديقه الأسواري فقيل له في ذلك ، فقال : ما ظنكم برجل نهش قطعة لحم فاقتلع ضرسه وهو لا يدري ! وكان إذا أكل ذهب عقله ، وجحظت عيناه ، وسكر ، وسدر ، وتربد وجهه ، وغضب ، ولم يسمع ولم يبصر ، فلما رأيته وما يعتريه ويعتري الطعام منه صرت لا آذن له ... الخ »

وقد أجاد ابن الرومي حين شبه هؤلاء بمن أصيبوا بالحمى فهم معها في تغير دائم ، وانفعال مستمر ، اسمعه إذ يقول :

تعلوه حمى شره ناهض ... لكن حمى هضمه صالب
كأنما الفروج في كفه ... فريسة ضرغامها دارب
ذي معدة تعلبها لاحس ... وتارة أرنبها ضاغب

وابن الرومي أقدر من غيره على الإجادة في هذا الفن فقد كان كما يقول صاحب زهر الآداب منهوماً شرهاً ، وكان جشمه من أسباب حتفه ، وله في المآكل وصف طويل ، فهو إذن ينطق عن خبرة وابتلاء ، ولا يعرف الشوق إلا مَن يكابده ، وأنت ترى وصفه للمنهومين ينبيء عن حصافة ، ويخبر عن دقة ووعى كقوله :

ألم تره لو شاء بلع تهامة ... وأجبالها طاحت هناك بلا أرش
على أنه ينمى إلى كل صاحب ... ضروساً له تأتي على الصلب والهش
تخبر عنها أن فيها تثلما ... وذلكمو أدهى وآكد للجرش
ألم تعلمو أن الرحى عند نقرها ... وتجريشها تأتي على الصلب والهش

وهو في قوله هذا متخصص متفنن يغوص على المعنى الخفي ويأتي بالتعليل المطابق فيشبه الأسنان المثلمة بالرحى الجرشة ، في القدرة على الطحن والهضم ، وهو يذكرني بابن هانىء الأندلسي

فله فى هذا الباب كلام جيد . وإن كان إلى الوضوح أقرب منه إلى التعمق . ولكنه يلذ القارىء ويمتعه . ويوقفه على الحقيقة سافرة فى سهولة ورقة كأن يقول :

يا ليت شعرى إذا أوحى إلى فمه ... أحلاقه لهوات أم ميادين
كأنها وحثيث الزاد يضرمها ... جهنم قذفت فيها الشياطين
لف الجداء بأيديها وأرجلها ... كأنما افترستهن السراحين
وغادر البط من مثنى وواحدة ... كأنما اختطفتهن الشواهين
أين الأسنة أم أين الصوارم أم ... أين الخناجر أم أين السكاكين
تبارك الله ما أمضى أسنته ... كأنما كل فك منه طاحون

ونحب أن نمان أن ابن هانىء كان قنوعا راضيا ولكنه يصف حالة رآها فقط دون أن ينطق عن ذات نفسه كابن الرومى ذلك الذى يرضى بالبطنة المعرضة والكظة القاتلة ، مملا نفسه بزوالها بعد يوم فيقول مخاطبا لائمته فى شرهه :

دعينى قسطنطين آخذ شهوتى ... وتبشمنى أنى بذلك راضى
فأكثر ماألقى من الزاد كظة ... مدى يومها واليوم أسرع ماض

ويخيل إلىّ أن الكظة لو استمرت معه طيلة حياته — لا يوما واحدا كما زعم — ما رجع عن نهمه العجيب !!

ويطول بنا البحث لو تقصينا ما ورد عن هؤلاء من النوادر وما قيل فيهم من رائع الشعر . ولكن أحب أن أنصفهم بعض الشىء فأعلن أن شرههم هذا غريزة نفسية ركبت فى طبائعهم فهم معذورون حين يهجمون على الموائد ، وماذا عسى أن يصنعوا وأمعاؤهم تتلوى كالأفاعى القاتلة . لذلك نجد الكثيرين منهم يعلنون عن أنفسهم بالقول حتى لا يفاجئوا الناس بشرههم الجشع قبل التمهيد له . وأظرف ما قرأت فى هذا الموضوع ما حدث به معبد بن خالد الجدلى قال : خطبت امرأة من بنى أسد فى زمن زياد فجئت لأنظر إليها وكان بينى وبينها رواق فدعت بجفنة عظيمة من الثريد مكللة باللحم فأتت على آخرها وألقت العظام نقية ، ثم دعت بشن مملوءة لبنا فشربته حتى أكفأته على وجهه وقالت : ياجارية ارفعى السجف فإذا هى جالسة على جلد أسد ، وإذا شابة جميلة ، فقالت يا عبد الله ، أنا أسدة من أسد ، وعلى جلد أسد ، وهذا طعامى وشرابى، فعلام ترى؟ فإن أحببت أن تتقدم فتقدم ، وإن أحببت أن تتأخر فشأنك ، فقلت أستخير الله فى أمرى وأنظر ، قال فخرجت ولم أعد !!

ولعمرى إن هذه المرأة وأضرابها جديرات بالعطف والإشفاق ! ومن يدرى لعلها تكون خفيفة الظل فكهة الروح كالتى قالت لزوجها وقد أكلت حملا سمينا ، وأراد أن يتغشاها فلم يصل إليها مهلا فبينى وبينك بمير ! !

على أن الرجل لا يرحم امرأته إذا كانت مصابة بهذا الداء الفاجع ، وقد رأينا فى كتب الأدب أمثلة عديدة من الهجاء الفاحش الذى صب فوق رءوس النهمات الشرهات من الزوجات ، بل قد تجاوزهن إلى الأمهات على ما لهن من حرمة التربية والرضاع وحسبك أن يقول المجيف فى هجاء صاحبة الفضل الأول عليه

يا ليتما أمنا شالت نعامتها ... إما إلى جنة إما إلى نار
ليست بشبعى وإن أسكنتها هجرا ... ولا بريا وإن حلت بذى قار
تلهم الوسق مشدوداً أشظته ... كأنما وجهها قد ساح فى القار

وأمثال هذه الطعنات الجارحة لا تحصر فى طيات الأسفار !

* * *

وبعد فالطعام كما يقول الأستاذ البشرى فن جميل . وأبطاله النوابغ فنانون مطبوعون ، وقد جحدهم الناس ، وأنكروا ما لبطونهم من مواهب نادرة ، فلا أقل من أن ننصفهم بعض الشىء فنستغفر الله لهم فى شهر طالما حاربهم فى حياتهم ، ثم هاهو ذا يذكرنا بهم فى سباتهم العميق ...

(الكفر الجديد) **محمد رجب البيومى**

بوم (١٧) رمضان :

يوم بدر

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

سوف تبقى على مدى الأيام   شرعة الخير ... شرعة الإسلام
أنت بعث من البلى ، وشفاء   لصدور مليئة بالسقام
وهدى يمحق الضلال ، ونور   مر مدى يشق قلب الظلام
وصعود إلى العُلا ، وسمو   عن حياة الشرور والآثام

* * *

يا رعاك التاريخ يا يوم بدر   أنت في الدهر غرة الأيام
أنت معنى الكفاح في الحق ، لا في   باطل موهوه بالأوهام
أنت بدر وافى الظلام ، فولّت   من سناه كتائب الإظلام
إنما أنت يقظة بعد نوم   وصفاء في الأفق بعد قتام
إنما أنت قوة بعد ضعف   وحياة من بعد موت زؤام
إنما أنت عودة النور والآ   مال ، بعد الظلام والآلام
فيك أصغى الزمان ، والتفت الدهـ   ـر إلى ساحة الوغى والصدام
حيث جند الضلال قد جاء يبغى   نصرة الشرك بالقنا والسهام
والنبي الكريم بين صحاب   كل فرد كالصارم الصمصام
لم يروا في الحياة إلا حطاما   فاشتروا دينهم بهذا الحطام
كبّروا ثم أرقلوا بقلوب   ونفوس إلى الحمام ظوامى
وتلاقى الجمعان أى تلاقٍ   أرأيت الأسود في الآجام ؟
فتعالى الغبار ، وانعقد الد   ير فوق الرءوس مثل الغمام
لو رأيت السيوف تلمع فيه   خلْتَ ناراً تطايرت في قتام
وأمد الله النبي بجيش   من جنود مسوَّمين كرام
لم ير المشركون غير سيوف   تتهاوى بالهام بعد الهام
عن يمين وعن شمال ضراب   وطعان من خلفهم والأمام
ففريق على الرمال صريع   وفريق تساق كالأغنام
وفريق مشردون حيارى   في فجاج الصحراء مثل النعام
قنعوا بالهوان والذل عقبى   ورضوا بالنكوص والإحجام
هدّ ركن الضلال ، وانصدع الشر   ك ، وباءت فلوله بانهزام
واستفاض الرشاد ، وانقشع البغـ   ـى ، ودالت عبادة الأصنام
واستقام الإسلام حصناً قوياً   ثابت الركن ، مستقر الدعام
ومضى يفتح الممالك باسم الله   ، لا باسم سلطة وانتقام
أينما سار فالحياة رخاء   في سلام ، وعزة في وئام

* * *

يا لقومى مما أرى في زمان   حائر الخطو ما له من زمام
لا أرى فيه للهدى من سبيل   لا ، ولا للرشاد من أعلام
قد بغىَ أهله كأسد ضوار   هيجتها الرعود في الآكام
وأحالوا الحياة حرباً ضروساً   طال فيها تناحر الأقوام
تلك حرب الضلال ... شتّان فيها   — لو علمنا — مهاجم ومحام
أرهقتنا ! لا بارك الله في جنـ   ـد ، ولا قادة ، ولا حكام
نحن لم نشعل الضرام ... لعمرى   كيف نكوى بنار هذا الضرام ؟ !
زعموها قد أطفئت ، وأظاها   لم يزل يستكن تحت الحطام !
قد أضرت بنا سنون عجاف   صيرتنا خطوبها كالحطام
قلق دائم ، وهم مقيم   وغلاء في ملبس وطعام
قد شكونا لهم بقلب حزين   وبكينا لهم بجفن دام
وانتظرنا ، فما أفادت شكاة   لا ، ولا أجدت الدموع الهوامى
ورجونا الغيث الكثير ، ولكن   قد رجوناه من سحاب جهام
ورأينا الأحكام تترى ، ولكن   أين تنفيذ هذه الأحكام ؟
تلك فوضى قد أحدثوها ، ولكن   ألبسوها زوراً لبوس النظام
ضاق صدرى بما أحس ، ولكن   فى فى الماء يا أولى الأفهام !

* * *

يا لقومى ! لقد تغير قومى   ورماهم زمانهم باصطلام !
غيروا قوة بضعف ! وعزاً   بهوان ! وصحة بسقام !
واستعزوا بغيرهم ، فقضى الغيـ   ـر عليهم بالعسف والإرغام
ورماهم من شره بدواه   قاتلات ... شلت يمين الرامى

فأقاموا على الهوان ، وساروا   فى طريق الحياة كالأيتام
ونسوا مجدهم ، وكان حياة   وضياء ، بعد الردى والظلام
أين مجد الإسلام ضخماً عريضاً ؟   أين بنيانه المتين السامى ؟
لا تقولوا مضى إلى غير رجعى   لا ، ولا تسمعوا لقول النيام
وأعيدوا ذكراه فى كل يوم   فقليل ذكراه فى كل عام
واستعيدوه مثلما كان صرحاً   محكم الخلق أيما إحكام
ودعوا اليأس والتعلل بالوهـ   ـم ، ولا تركنوا إلى الأحلام
أتريدون عزكم بالتمنى ؟!   أتريدون مجدكم بالكلام ؟!
تعست أمة تحاول بالقو   ل بلوغ المنى ، ونيل المرام
إنما منطق الضعيف ضعيف   وكلام القوى حد الحسام
فاتركوا الضعف ، وارفعوا الذل عنكم   واهجروا الآن مضجع النوام
واعملوا ؛ إنما الحياة كفاح   وجهاد فى ساحة الأيام
وامسحوا عنكم الفتور ، وبثوا   فى النفوس القوى ، وفى الأجسام
انزعوا اليأس ، حطموا الخوف ، هبوا   هبة الأسد روعت فى الموامى
واهزؤوا بالخطوب إن عبس الدهـ   ـر ، ولا تعبؤوا بكيد الخصام
واحملوا مشعل الهداة ، وسيروا   فى طريق الحياة نحو الأمام
وليكن حكمكم بما حكم الله   ، ودستوركم هدى الإسلام

***

سوف نبنى صرح السلام مكيناً   مستقراً ... والويل للهدام
سوف نحمى الأخلاق من نزوة الشر   (م) وبغى الهوى ، وجهل الطغام
ونعيد الحياة روضاً جميلاً   يتغنى بزهره البسام
ثمر يانع ، ودوح ندى   وارف الظل ، ريق الأنسام
ونضم القلوب بعد انفصام   ونلم الصفوف بعد انقسام
ونعيد المجد القديم كما كا   ن ، وأنف الطغيان تحت الرغام
ولنا الدين غاية وطريق   وإمام ... أنعم به من إمام
ولنا الله ... ناصر ومعين   وهو نعم النصير ، نعم الحامى

ابراهيم محمد نجا

أنغام الحب

ومن الحب عبقرى الأغانى

للأستاذ أنور العطار

عش بقلبى كما تعيش الأمانى   وأثر خاطرى ونضر جنانى
وأعدنى كالناى أسكره اللحـ   ـن فغنى فى رقة وحنان
تتهادى ألحانه مشجيات   ومن الحب عبقرى الأغانى
يا هوى الذى أناجيه لهفا   ن ويا منيتى ويا سلوانى
أمن العدل أن يبيت أخو الحـ   ـب صريع الهموم والأشجان
يلهب الشوق عمره غير وان   ويقضى الحياة فى الهجران
يهب القلب للهموم توالى   والأسى والدموع والأحزان
ويبيت الحبيب يغمره الصفـ   ـو وبحبوحة النعيم الدانى
وهو الحب خافق غير مرتا   ع ، وقلب مؤجج الخفقان
وخدود مجرحات دموعاً   وخدود نواضر الألوان
وعيون من المسرات ملأى   وعيون مخضلة الأجفان
ها هنا البشر سائغاً مستطاباً   وهنا الشجو خالداً غير فان

***

يا هوى الذى أغنيه أحلى   ما تغنت بلحنه شفتان
طف بقلبى كما تطوف البشاشا   ت وجدد على المدى ألحانى
لك من مدمعى ينابيع تهمى   بغزير من ماء قلبى قان
لك من خاطرى نشيد رقيق   طافح بالهيام والتحنان
لك من روحى اللهيف نزوع   كنزوع الغريب للأوطان
لك سر مغيب فى جنانى   لك شدو مفجر من بيانى

***

لك يا ملهمى الأناشيد بكراً   أتغنى روائعات المعانى
ويجوز الخيال أخبية الوهـ   ـم ويمشى على ثغور الأمانى

أنور العطار

تعقيبات

تراث المعري :

منذ ثلاث سنوات تألفت في وزارة المعارف لجنة من الأساتذة الأفاضل : ابراهيم الأبياري وعبد السلام هارون ومصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وحامد عبد المجيد لتقوم على بعث تراث الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري ونشره مصححا ، وشرحه شرحاً يقربه من الأفهام ، وهو عمل جليل أشدنا به على صفحات الرسالة من قبل ، وباركنا ما بدا من أثر ذلك في همة اللجنة وعنايتها .

وإني لأشهد الله أن أعضاء اللجنة الأفاضل قد تجردوا لمهمتهم في عزيمة صادقة ، وعكفوا عليها في صبر العلماء وشغفهم بمكاره الدرس والمراجعة ، فانفردوا في غرفة منعزلة بدار الكتب المصرية بين أكداس من المخطوطات وجفو الطوامير يراجعون ويحققون ويبذلون ماء عيونهم لإلقاء النور على ذلك التراث المدفون ، فكأنهم جماعة العلماء الذين يعكفون على الأبحاث الذرية في أمريكا ...

وقد استطاعت اللجنة أن تخرج في هذه المدة كتاب « تعريف القدماء بأبي العلاء » ، والجزأين الأول والثاني من « سقط الزند » وما له من شروح ، وهي الآن بصدد إخراج الجزء الثالث منه ، وستتمه بجزء رابع يتضمن فهارس كاملة ، ثم تأخذ بعد ذلك في إخراج ديوان ، « لزوم ما لا يلزم » وما عليه من الشروح ...

ولكني ألاحظ أن اللجنة تمضي بطيئة في أداء مهمتها وإنجاز عملها ، وقد سألت فقيل لي إنها تحتاج إلى أكثر من عشر سنوات للفراغ من هذا العمل إذا سارت بهذه الخطوات ، ومعنى هذا أنها ستخرج ذلك التراث للجيل القادم ، على أن اللوم في هذا البطء لا يرجع إلى اللجنة ، بل إنها نفسها تشكو ذلك وتحرص على أن تسير في عملها بخطى واسعة ، وإنما اللوم على نظام دار الكتب ، لأن المطبعة لا تسعف اللجنة في إنجاز الطبع والإخراج بحجة كثرة العمل ، وذلك في الوقت الذي تجد فيه هذه المطبعة الوقت الواسع جداً لإخراج مؤلفات مدير الدار ومؤلفات المؤلفين الذين يتاجرون بمؤلفاتهم مع أن الواجب يقضي بأن تخصص مطبعة الدار لإنجاز مطبوعات الدار .

ومسألة أخرى تدعو إلى العجب ، وهي أن ما تخرجه اللجنة من آثار المعري تضع وزارة المعارف يدها عليه وتنقله إلى مخازنها ولا تسمح إلا بإهدائه لذوي الجاه في الدولة ممن لا يعنيهم المعري وتراثه في كثير ولا قليل ، فكأني بالوزارة قد قررت بعث تراث المعري لتنقله إلى قبر جديد .

كلا ! إن هذا التصرف ليس بالعمل الذي يؤثر في خدمة الأدب ، وقد أحسنت الوزارة من قبل يوم أن قامت بطبع ديوان حافظ إبراهيم وعرضته للبيع بنفقات الطبع ، فهل لها أن تؤثر هذا الصنيع في بعث تراث المعري ونشره والإفادة به ؟! .

ولكنهم المعلمون :

نشرت إحدى الصحف خبراً زعمت فيه أن المعلمين ألفوا عصابة من بينهم لبيع أسئلة الامتحانات العامة ، وأن التحقيق كشف عن أمور خطيرة من أعمال هذه العصابة ، ولما كانت تلك الصحيفة قد هولت في إيراد الخبر وتهجمت به على كرامة المعلمين ، فقد أذاعت « جمعية المعلمين » بياناً على الصحف ترد على هذا التهجم وتقول « وما كان للصحيفة المذكورة أن تتسرع بهذا الاتهام حتى ينتهي التحقيق وتظهر براءة البريء إن كان بريئاً وذنب المذنب إن كان مذنباً ... »

وأنا لا يعنيني هنا تلك الواقعة ، ولا تصحيحها ، ولكني أشهد الله أني لا أفهم « براءة البريء إن كان بريئاً » ولا أعرف ذلك في أسلوب عربي إلا أسلوب الصحف التي تقول : « وتزوجها زوجها وعاشرها معاشرة الزوجية .. »

ولو أن هذا التعبير وقع من جماعة المهندسين مثلا لأغضينا عنه ، وقلنا إنه أمر ليس من صميم صناعتهم فلا لوم عليهم ولا بتغينا له أوجه التأويل ، ولكنهم المعلمون وصناعتهم العلم ، وهم الذين يتعهدون أبناءنا في تعلم اللغة والبيان ، فياضيعة الأبناء المساكين ، ويا ضيعة اللغة والبيان ، إذا كانت لغة المعلمين من نحو « براءة البريء إن كان بريئاً .. »

كان آباؤنا أبر وأكرم :

نشرت مجلة « المسامرات » فى عددها الأخير صفحة مصورة عن إنشاء بيت فى لندن لتأجير ما يلزم للعرائس من الثياب ليلة الزفاف نظير مبلغ خمسة جنيهات وذلك تخفيفاً عن الفتيات الرقيقات الحال واللاتى لا يستطعن الحصول على الثياب اللائقة بهن نظراً لشدة قيود التموين التى لا تزال قائمة فى انجلترا ، وقد أشادت المجلة بهذا الصنيع كما أشادت به المجلات والصحف الإنجليزية وقالت إنه عمل مشكور أعاد الإشراق إلى وجوه العرائس وأدخل السرور والانشراح على قلوبهن .

قلت أين هذا من مآثر آبائنا السابقين ومكارمهم التى من هذا القبيل ، فقد كانت أبر وأكرم ، وكان عملهم مما يدل على عراقة الروح الإنسانية فى نفوسهم .

فمن ضمن وثائق الأوقاف الإسلامية وثيقة بوقف خيرى فى مكة المكرمة لإعارة الحلى وأدوات الزينة للفقراء ومتوسطى الحال فى الأعراس والأفراح بحيث يستعيرون منه ما يلزمهم حتى تظهر العروس فى المظهر اللائق جبراً لخاطرها ثم يرد مكانه بعد مضى مدة الفرح المتادة ، كما كان فى مكة أيضاً وقف لإعارة المفروشات وأدوات السفر فى إقامة الولائم والحفلات .

وذكر ابن بطوطة فى رحلته وقفاً فى دمشق اسمه وقف « الزبادى »[1] وهو مكان توجد فيه الأوانى الفاخرة من الصين وقفها أصحابها بحيث إذا كسر خادم آنية فى مطبخ سيده وخاف أن يضربه السيد أو يخصم ثمنها من أجرته قصد إلى ذلك المكان وسلم الآنية المكسورة وتسلم بدلها صحيحة ، وقد علمت أن فى فاس وقفاً مثل هذا الوقف ، وكذلك فى تونس .

ومن ألطف ما يتصل بهذا وقف فى فاس خصص ريعه لمن وقع على ثيابه زيت من الفقراء أو مادة ملونة تذهب بهجته وجدته كالحبر ، فيأخذ منه نقوداً ويشترى ثوباً جديداً مماثلا لذلك الثوب الذى كان يلبسه

وفى تونس وقف لتزويج الشابات الفقيرات ، وآخر لختان الأولاد الفقراء وإعطائهم كسوة ودراهم وثالث لتوزيع الحلوى على المحتاجين بالمجان فى شهر رمضان

(١) وهى السلطانيات بلغة أهل الشام

وفى مراكش مؤسسة اسمها « دار الدمة » عليها أوقاف كثيرة ، وهى دار تقصد إليها النساء اللاتى يقع بينهن وبين أزواجهن نفور وليس لهن عائلات ، فيقمن فيها آكلات شاربات متمتعات بكل وسائل الرفاهية حتى يذهب ما بينهن وبين أزواجهن من الجفوة ويعدن إلى دار الزوجية .

وفيها أيضاً مكان اسمه « سيدى فرج » عليه أوقاف كثيرة تدر الأموال الوفيرة ، وقد أوقفها أصحابها لإيواء المجاذيب ولتجهيز الموتى من الفقراء وتكفينهم ، وشراء ملابس توزع على الفقراء فى أول الشتاء .

وروى الكاتبان الفرنسيان الأخوان « جان وجيروم تارو » فى رحلتهما إلى مراكش أنهما شاهدا هناك مؤسسة لا يوجد مثلها فى الدنيا ، وهى دار كبيرة فسيحة تتسع لستة آلاف ممن أصيبوا بمحنة العمى من الفقراء ، فيقيمون فيها يأكلون ويشربون ويقرأون ، ولهم أنظمة وقوانين يسيرون عليها ، وتشرف على شئونهم إدارة كبيرة تدبر لهم كل وسائل الراحة والرفاهية ...

وفى أوقاف مصر وقف لسكنى الأيامى الفقيرات ، ووقف آخر لكسوة أولاد الفقراء ، وثالث لإطعام الكلاب التى ليس لها أصحاب ...

فهذه ، وأمثالها كثير ، مما يطول سرده وعده ، من مآثر آبائنا الكريمة ، وأريحيتهم النبيلة ، التى كانوا يبذلونها استجابة لداعى الإنسانية ، وتلبية لنداء الخير والمروءة ، وما كانوا يرجون عليها أجراً إلا ثواب الله وحسن جزائه ، فكل ما يجرى الآن من صنائع المدنية الحديثة فى الترفيه عن الفقراء وإدخال السرور على نفوسهم لا يعدل قليلاً من ذلك الذى كان .

والواقع أن روح الإنسانية التى تملكت آباءنا السالفين ، ووصلت قلوبهم بقلوب الفقراء ، هى التى وقت المجتمع الإسلامى على تطاول العصور من الهزات الاجتماعية المنيفة ، ومن الثورات التى تصطدم بها النفوس المحرومة على أهل السعة وأصحاب الأموال ، وليس من المعقول أن يثور الفقراء أو ينقموا السعادة على الأغنياء ما داموا يجدون فى أموالهم الحق المعلوم للسائل والمحروم ...

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

عام التوائم :

توالت على الصحف أنباء ولادة التوائم فى أنحاء البلاد ، وأفاضت الصحف فى الكتابة عن أحوال هذه الولادات ، لما فيها من غرابة وطرافة

وقد لاحظت اقتران هذا الإخصاب فى الولادة ، بإخصاب آخر فى التأليف ، واسترعى نظرى إعلان أحد المؤلفين عن كتابين أخرجهما معاً ، وزاد انتباهى إعلان آخر مماثل .. فقلت فى نفسى : نحن حقاً فى عام التوائم !

ومما يدل على الإخصاب فى التأليف هذا العام أن «الأهرام» هالها ما يرد إليها من المؤلفات ، ولعلها ضاقت بإلحاح أصحابها فى طلب التعريف والتنويه بها ، فكتبت يوم الثلاثاء بعد ثبت طويل من الكتب التى عرفت كلا منها بكلمة — كتبت بعد ذلك تعتذر من عدم استطاعتها التعريف بكل ما ورد إليها ، فقالت إن عدد المؤلفات قد زاد فى هذا العام زيادة لم نعهدها فى السنوات الماضية فقد بلغ ما تلقته الأهرام فى ثمانية الأشهر الأخيرة ٣٨٢ كتاباً بمعدل ٥٠ كتاباً فى الشهر تقريباً ، واعتذرت من التأخير فى الإشادة بكل هذه الكتب ، ووعدت بأنها ستواصل التعريف بها ما استطاعت !

وقد لاحظ بعض الكتاب أن النساء المنجبات هن من الطبقة الفقيرة ؛ ولا عجب فى هذا فالطبقات الدنيا هى العاملة المنتجة المنجبة فى المجتمع . ويلاحظ أيضاً أن أكثر تلك الكتب الوفيرة تدل على أن أصحابها من فقراء الفكر .. وكثير من هؤلاء يوالى الواحد منهم إصدار المؤلفات فى أوقات متقاربة ، والذى أفهمه فى التأليف أن الشارع فيه تقوم بذهنه فكرة الكتاب ، يعاشرها زمناً ، يقضيه فى التفكير فيها ، وتحقيق مادتها ، وتحين الفرص التى تتيح ما يخدمها ، فى أثناء المطالعات والتأملات ؛ حتى إذا نضجت على مهل ، أخرجها للناس كتابا سويا . فيكون كالوليد الذى تتغذى أمه وهى تحمله جنينا بغذاء كامل ملائم للحامل ، وتتبع فى حياتها النظام النافع للحمل ، وتقضى المدة اللازمة قبل أن تضع حملها

وقد أفضى طبيب « ملوى » بأسباب وفاة ثلاثة من الأربعة التوائم التى ولدتهم أمهم هناك ، فقال إن أهم تلك الأسباب رداءة تغذية الأم وهى حامل ، فهل نأخذ العبرة من هذا للتأليف ، مع فرق واحد ، هو أن الوليد السقيم قد تجدى عليه العناية والمعالجة ، أما الكتاب الملفق المرتجل فهو مع الموت فى مهده على ميعاد ..

مطايبات (أبو النواس) :

جاء فى العدد الخاص (بالفرفشة) من مجلة الاثنين ، فصل فى (الفرفشة عند العرب) احتوى على بضع حكايات قدم لها بما يلى : « كان العرب يتذوقون النكتة ويجزلون العطاء لقائلها ، وقد حفلت كتب الأدب العربى القديم بألوان طريفة من الفكاهات ورى القراء طائفة منها فيما يلى » والقارىء المستنير يتوقع أن يطالع بعد هذه المقدمة ملحاً وطرائف من التى حفلت بها كتب الأدب العربى حقاً ، والتى هى جديرة أن يزود منها عدد خاص بالفكاهة أو (بالفرفشة) كما أطلقوا عليه ؛ ولكن الحكايات التى أتى بها إنما هى من التى يتبادلها العامة ، ويحصلونها من الكتيبات التى وضعها لهم بعض الوراقين ، وخاصة ما كان منها عن (أبو النواس) كما يسميه العوام ؛ وإلا فقل لى أى كتاب من كتب الأدب العربى القديم حكى عن الرشيد أنه أراد أن يفاجىء أبا نواس بزيارته فى داره فاختبأ أبو نواس وراء الباب وأزعج جواد الرشيد وهو يهم بالدخول ، فسقطت عمامة الرشيد ، فتطير من ذلك وأمر بضرب عنق أبى نواس ، فيضحك أبو نواس معللا ضحكه بأنه يقتل بغير سبب ، فيقول له الرشيد :

— إنما أقتلك لأنك مشئوم الطالع . فقد « اصطبحت » رؤيتك فسقطت عمامتى !

— وأنا اصطبحت بوجهك ففقدت حياتى ، فأينا أكثر شؤماً ؟

فهل كان من طبيعة العلاقة بين الرشيد وأبى نواس ، وهل

يليق بهما ، أن يحدث بينهما هذا الذى يشبه لعب الأطفال المسمى « استغماية » ؟ وهل كان خلفاء المسلمين يقتلون للطيرة وشؤم الطالع . . ؟ وهل يصح أن يساق هذا الكلام السف المبتذل على أنه فكاهات مختارة من الأدب العربى ؟!

لقد كان يمكن تحقيق الرغبة فى الإضحاك بإيراد طائفة من فكاهات الأدب العربى « الحقيقية » التى يزخر بها « الأغانى » و« العقد الفريد » و« عيون الأخبار » و « ذيل زهر الآداب » وغيرها من كتب الأدب . وكان يمكن بهذه الفكاهات الجمع بين (الفرفشة) والمتعة الفنية ، وكان كل ذلك خيراً من حكايات (أبو النواس) التى لا منفعة فيها إلا أن تفغر أفواه الفارغين ...

شخصية الفنان :

نشرت بعض الصحف البيروتية خبر حادث أسفت له ، وأشارت إلى سوء موقعه من النفوس ، ذلك أن الأستاذ محمد عبد الوهاب كان فى مجلس فى (عاليه) ضم نخبة من رجال السياسة والأدب ، وفيهم الأمير مجيد أرسلان وزير الدفاع فى لبنان ، الذى طلب من عبدالوهاب أن يغنى ، فرفض . واختلفت الروايات فيما حدث بعد هذا الرفض ، فقيل إنه حدثت مشادة تخللها اعتداء ، وقيل إن الوزير نهض واقفاً كأنه يهم بالاعتداء . . . وتدارك الحاضرون الموقف فانتهى بسلام . وكذبت الحكومة اللبنانية « أن وزيراً حاول ضرب الأستاذ محمد عبد الوهاب فى عاليه » وقالت إنه خبر عار عن الصحة . ونفى الحكومة ينصب على الاعتداء ومحاولته ، أما الاجتماع وما كان فيه من طلب الغناء ورفضه فلم يكذب خبره . وهذا الجزء من الخبر هو الذى يتعلق به موضوعنا . أما الإساءة إذا كانت قد وقعت فاليقين أن إخواننا اللبنانيين قد عالجوا أمرها على خير ما يرجى

أما الذى أرى إليه فهو « شخصية الفنان » التى حققها عبد الوهاب برفضه إجابة طلب الغناء ، فهو اعتزاز فى موضعه ، وحفاظ على كرامة الفنان أن يكون طوع إشارة وزير أو كبير. وقد مضت العصور التى كانت الفنون فيها تعيش فى ظلال الكبراء ، وصار الفنان (من موسيقى وأديب وغيرهما) يستمد عزته من فنه ومن جمهوره ، كما تستمد الحكومات الدستورية سلطانها من أممها . .

تلك هى روح العصر فى الفن ، وهى أثمن ما كسبناه ، وهى تتمثل فى أولئك الأعلام الذين برزوا فى حياتنا الفنية بأنواعها ، نهضوا على سوقهم ، ومشوا بجهودهم إلى غاياتهم مسددين ، ويسير الجيل الجديد على أثرهم فى هذا السبيل ، من الشعب نحو الشعب ، يرعى الجميع جلالة الفاروق .

أبو زيد الهلالى :

كتب إلىّ الأستاذ عبد الحميد يونس ما يلى :

« طلب الدير المنتدب للاذاعة المصرية فى عهدها القوى إلى الأدباء والكتاب أن يشاركوا بأفكارهم وأقلامهم فى تدعيم هذه المؤسسة الثقافية العظيمة التى بلغ من خطورتها فى توجيه الرأى العام أن احتفلت بها الهيئات الدولية العليا ، وقد رأيت أن أتقدم إلى هذه الإذاعة بنصيب متواضع من الجهد الفنى ، هو تقريب الآثار الشعبية المعروفة إلى جمهور الخواص . وبدأت بحلقة من حلقات سيرة أبى زيد الهلالى ، ولأمر ما انصرف المعنيون بإخراج هذه الآثار عن اللغة الفصحى إلى اللغة العامية مع أننى كتبتها باللهجة الفصيحة لحكمة ظاهرة ، وهى جعل الخواص والأوساط يتذوقون هذه الآثار الشعبية التى يحفظها العامة عن ظهر قلب ، ثم أخرجت هذه الحلقة دون أن يصلنى كتاب واحد من الإذاعة اللاسلكية القومية التى تشرف عليها الدولة المصرية ينبئنى بقبولها أو رفضها أو يدعونى على الأقل إلى مشاهدة إخراجها وإقرار هذا الإخراج . وقد حضرت التجربة النهائية اتفاقاً محضاً ، وكنت بين المخرج وأعوانه كالمتطفل على مأدبة لم يدع إليها . وعند التسجيل سحب الصوت من الغرفة التى أجلس فيها عمداً . وعلمت بعد ذلك أن القصة التى قدمتها قد حورت فى موضعين تحويراً يمس أثراً محفوظاً لدى الشعب ، قد وقف فى تطوره عند صورة متبلورة بعينها ، كما أن الحوار حمل أفكاراً وصوراً لا يمكن أن أقرها بحال . فاضطررت إزاء هذا كله إلى أن أطلب ، بما لى من حق ، الاستماع إلى التسجيل الكامل ، ولولا

وساطة بعض أصدقائى ممن أحترمهم وأوقرهم لوقفت إذاعة هذه الحلقة واحتكمت إلى القضاء ، وبخاصة لأنهم جعلوا المؤلف غيرى واكتفوا بأن ذكروا أننى قدمت « المادة العلمية » كما يفعل رجال الدعاية الزراعية مثلا . والإذاعة وإن غيرت هـذا الوضع بعض التغيير ، إلا أن الأمر لا يزال على حاله من حيث تحوير القصة وتحميل النص مالا يحتمل ...

ولعل هـذا يدعوك إلى تنبيه الإذاعة اللاسلكية فى هذا العهـد القوى إلى احترام المؤلفين ومحاولة القضاء على ما يشبه الاحتكار الثقافى والفنى لفرد أو طائفة .

وأملى أن ينال هذا الموضوع ما يستحق من عنايتكم وعناية الرسالة الغراء »

وقد أصغيت إلى هذه التمثيلية وقت إذاعتها يوم الثلاثاء ، فسمعت أصواتاً تتصايح بلغة لست أدرى ما هي بالنسبة إلى قصة أبي زيد الهلالى ، فلا هى لغة جمهور المستمعين العامية ، ولا هى لغة «شعراء الربابة» التى هى أقرب إلى الفصحى من لغة التمثيلية، ولا هى لغتنا العربية الفصحى ؛ وإنما هى من لغة بعض القبائل البدوية المعاصرة . ولم هذا وقد وضعها مؤلفها معربة فصيحة ؟ يقولون فى مثل هذا : إنه تهيئة للجو الفنى فى القصة .. فهل يطابق هذا الحوار الذى وضع لقصة أبى زيد الهلالى لغة القبائل العربية بنجد فى القرن الخامس ؟ وما أظن لغتهم فى ذلك الوقت كانت قد بعدت كثيراً عن الفصحى

على أننى سمعت فى تمثيـــل القصة غناء ينصت إليه أمراء القبيلة ، فيدخل عليهم أفراد من القبيلة يصيحون بهم : أتنصتون إلى الغناء والطرب والشعب يهلك من الجوع ؟ وسمعت أحد أفراد القبيلة يحاول أن يبيع ابنته ليقرى ضيفانه ، فيعلم بذلك أمير القبيلة فلا يمنح الرجل ما هو فى حاجة إليه ويطلق الفتـاة ، بل يتزوج منها فيعترض عليه أبو زيد ويعلن أن الوقت وقت شدة وعسر ولا يليق أن ينفق فى الأفراح بل يجب أن ينفق فى مصـلحة الشعب ورخائه .

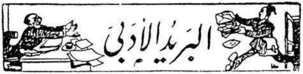
وليست تلك الأفكار الاشتراكية مما يتفق والروح السائد فى زمن القصة ؛ وتصرف أمير القبيلة مع والد الفتاة ليس من النخوة العربية ، فهل يتفق هذا مع الجو الفنى للتمثيلية الذى يعملون على تهيئته بتلك الأصوات المنكرة .. ؟

وأكبر الظن أن ذلك مما يقصده الأستاذ عبد الحميد بقوله إن القصة حورت وحمل الحوار أفكاراً وصوراً لا يمكن أن يقرها ، ويبدو من تغافلهم عنه فى أثناء الاخراج أنهم كانوا يخفون عنه ما يصنعون بقصته حتى ينهوا ويضعوه أمام الإفساد الواقع .

ومن عجيب الأمر أن ينزل الكاتب المبين منزلة صاحب « المادة العلمية » الذى لا يقتدر على التعبير فيقدمها لمن يصوغها فى أسلوب صحيح ..

وبعـد فهل نتفق دعوة مدير الإذاعة الأدباء إلى المشاركة بأفكارهم وأقلامهم فى تدعيم الإذاعة المصرية فى عهدها القوى مع هضم حقوق المؤلفين والتصرف في إنتاجهم بما لا يقرونه ؟ أوليس من حق الأدباء أن تعاملهم الإذاعة — فى التقدير الأدبى على الأقل — معاملة المغنين ومن دونهم من الملهين ... ؟

« العباس »



القرآن والفرقان :

اطلعت فى العدد الأول من مجلة « لواء الإسلام » على مقال رصين للأستاذ الكبير عبد الوهاب حمودة بعنوان « التعريف بالقرآن » جاء فيه قوله « وللقرآن أربعة أسماء . هى القرآن والذكر ، والكتاب ، والفرقان . »

ونحن نوافق الأستاذ فى الأسماء الثلاثة الأولى ، ولكنا نخالفه فى الرابعة وهى كلمة « الفرقان » بمعنى القرآن إطلاقاً ، لأن من معانيه الذكر ، ودليلنا فى ذلك قوله تعالى وهو أصدق القائلين « شهر رمضانَ الذى أُنزلَ فيه القرآنُ هدى للناس وبينات من الهدى و(الفرقان) . » وقوله تعالى « وإذ آتينا موسى الكتاب و(الفرقان) . . »

ثم إن الأستاذ زيادة فى الإيضاح يقول مستشهداً : ثم نزل لفظ (الفرقان) فى سورة (الفرقان) فى قوله تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » فلو صح ما ذهب إليه الأستاذ فى معنى الفرقان لصح وجود سورة باسم سورة (القرآن) . ولكان القرآن ما نزل على العالمين إلا ليكون نذيراً لا غير . .

ثم إن الآية « ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان » تنفى ما ذهب إليه الأستاذ فى معنى الفرقان على أنه القرآن نفياً لا يأتيه الشك من بين يديه ولا من خلفه . ويكون الفرقان بمعنى الذكر الذى يفرق بين الحق والباطل من الأقوال والأفعال .

وللأستاذ فى الختام ، وافر التحية والسلام …

(الزيتون) **عدنان أسعد**

١ — إلى سائلين :

كتب إلىّ الأفاضل : السيد (سعيد أحمد) من القنيطرة ، والسيد (نهاد عيسى) من حيفا ، والسيد (حنا نصار) من طبريا وشافهنى آخرون ممن ألتى ، وكلهم يسأل عن « فصول الأدب فى فلسطين » ولما ذا توقفت عن متابعتها ؟ ؟ أ

وجوابى إلى هؤلاء السادة : أننى سأتابع هذه الفصول حين يتسع المجال فى (الرسالة) الزاهرة ، فتنشر فصلين وجهتهما للادارة . وذلك ليتسق نظام الحديث .

٢ — الحاصرة :

كتب الأديب « فلسطينى » فى بريد الرسالة الأدبى . برأى أن تستبدل بالزنزانة (الحاشرة) . وكتبت آنذاك — وقد توهم بعض إخوانى أننى ذلك «الفلسطينى» — أنفى ذلك الوهم ، وأبين أن (الحشر) فى اللغة هو : (الحشد والجمع) ومن ذلك (يوم الحشر) . ولا يكون بمعنى : (الحبس والتضييق) إلا فى مدلول الكلمة العامى عند أهل فلسطين … ومن هنا كان خطأ اللغوى « فلسطينى » ! ولعل الكلمة التى تؤدى المعنى المراد — هاهنا — هى : (الحاصرة) …

وفى عدد الرسالة الأخير رأيت الأستاذ حسنى كنعان يستعمل هذه ال(حاشرة) بمدلولها العامى فى فلسطين ، فى موضوعه القيم : « نهاية دجال » ولذا رأيت أن أعود ثانية فأنبه إلى ذلك

٣ — أروقة سود :

جاء فى بداية موضوع السيدة الفاضلة منيبة كيلانى (لسان الدين بن الخطيب) ما يلى : « مد الليل أروقته السوداء فى غرناطة … » . والمعروف أن (سوداء) وصف لفرد مؤنث ، ووصف الجمع منه (ومن جمع التكسير) هو (سود) .

فنقول فى الإفراد : ليلة سوداء ، كما نقول : حية رقطاء . ونقول حين الجمع : ليال سود وأيام بيض وحيات رقط …

ولعل هذا لا يغيب عن الأديبة الفاضلة .

(القدس) **محمد سليم الرشدان**

١ — إلى الأستاذ محمود شاكر :

فى مقال الأستاذ الكبير « محمود شاكر » « شهر النصر » أورد الأستاذ آيات من كتاب الله جاء فيها سهو بين . وتلك الآيات هى قوله تعالى « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كثيراً من المؤمنين » والصواب « وإن فريقاً من المؤمنين



اشـــتراك فى الاثم

للشاعر القصصى (بول بورجيه)

بقلم السيد كمال الحريرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وفى الصباح صحت عزيمتى، على الكتمان. لا، أبداً، لن أفضح امرأة صديقى، ولن يعلم صاحبى عن خيانتها شيئاً. فما هو أول زوج ولا آخر زوج تخونه زوجه، ويعيش مع ذلك هادئاً قريراً. شارل صديقى، يذهب فى حب امرأته، أنزه المذاهب وأقربها من التقديس، لذلك سيكون فى إطلاعه على خزيها وشنارها. وضع للسلاح فى يده ليقتل نفسه به. فمن الخير إذاً أن يجهل الأمر كل الجهل. أما فيما يتصل بى، فإنى أرجو أن أتناسى مشهد هذه المصادفة الغريبة، ولاسيما أن «مرغريت» لم ترنى أبداً، وتجهل اطلاعى على أمرها، وسوف تجهله إلى الأبد.

إنها ستسافر كما قالت لصاحبها فى قطار ما بعد الظهر، وإذن فمن الحتم علىّ أن أرحل بقطار معاكس لقطارها يبرح «جه ن» فى نفس الساعة. ولقد عولت على تأخير ذهابى إلى المحطة كيلا أتعرض لملاقاتها هناك برغم تحققى من أنها ستأتى المحطة بمفردها، فليس من الجائز أن تكرر مخاطرة الأمس الحمقاء فتبرز للملأ مع عشيقها. على أنى لم أقدر نشوة الخطر الخبيثة التى تدفع بالمحبين إلى أن يقتحموا كل خطر مهما كان نوعه أو زمنه. ذلك أن فى المرأة التى تستهيم بصاحبها وتتدله بهواه فتهبه سراً جسمها وقلبها شهوة طاغية للظهور فى ملأ من الناس، مستندة إليه، معقودة الذراع بذراعه، كأنها تبغى الإعلان للناس عن أنها امرأته الشرعية؛ ترى لماذا تفعل هذا؟ إنى لا أستطيع لذلك تفسيراً. ولكنه يقع غالباً. والمآسى العرضية التى تقوض سعادة الأسر بنسبة ٩٩

الكارهون» وسهو آخر فى قوله تعالى «ويقطع دابر القوم الكافرين» والصواب «ويقطع دابر الكافرين» بإسقاط لفظ القوم وفقنا الله للصواب.

٢ — إلى الشيخ محمد رجب البيومى:

فى مقالك — عشاق الطعام — أوردت مما نصه «وأذكر أن صحابياً جليلا — أظنه ابن عباس — دخل عليه سائل نهم فأكل أكلا عنيفاً فجعل ينظر إليه فى تعجب. حتى إذا خرج من عنده قال لخادمه: إياك أن تدخله مرة أخرى فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول. المؤمن يأكل فى مع واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء». وأحب هنا أن أذكر — للحقيقة — أن ذلك الصحابى هو ابن عمر لا ابن عباس — كما ذكرت أنت — وذلك كما جاء فى رواية البخـــارى «عن نافع قال: كان ابن عمر لا يأكل حتى يؤتى بمسكين يأكل معه. فأدخلت رجلا يأكل معه فأكل كثيراً. فقال: يا نافع لا تدخل هذا علىّ. سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء» وأنت ترى — أيها الزميل — أن لفظ معًى ورد هكذا فى الرواية الصحيحة بكسر الميم وفتح العين منوناً مقصوراً. فأنى لك مخالفة الرواية المشهورة؟ أقدمنا وفقك الله.

(دمنهور) على زين العابدين منصور

الأشغال الشاقة المؤبدة:

جاء فى كلمة للأديب فؤاد السيد خليل بالعدد (٧٣٤) من الرسالة الغراء «أن الأشغال الشاقة المؤبدة مدتها خمس وعشرون سنة، ينقص ربعها للذين يحافظون على النظام والطاعة فى السجن»

وتحديد العقوبة بهذه المدة خطأ كثير الشيوع. والصحيح أن الأشغال الشاقة المؤبدة ليست محددة بمدة معينة، وإنما تكون إلى نهاية حياة المجرم.

على أن نظام الإفراج الشرطى يجيز الإفراج عن المحكوم عليه بهذه العقوبة إذا أمضى فى السجن مدة لا تقل عن عشرين عاماً، وكان خلالها حسن السير. لذلك رأيت التنويه، إرضاء للقانون، وتكديراً لخواطر المجرمين ...

محمد محمود عماد

فى المالة ليس له من سبب إلا ما ذكرت . مع أن شدة الحذر واليقظة من الزوج كافية لمنع حدوثها . وأحسن مثال على ذلك واقعة صديق ، على أنى فى تلك الليلة المؤرقة خرجت باكراً من الفندق وفى نيتى ألا أرجع إليه إلا متأخراً حين تكون مرغريت قد غادرته إلى المحطة ، فبعد أن جلست فترة فى المدينة ذهبت فى الساعة العاشرة إلى زيارة «القصر الأحمر» «باله روج» لمشاهدة لوحات الفنان « فانديك » وأدع لك أن تحكم على مقدار ذهولى ودهشتى حين طرق سمعى مجدداً ، فى صالة هادئة من صالات ذلك المتحف ، جرس الصوت نفسه الذى هزنى وزغرنى البارحة مساء تحت أشجار البستان . لقد كانت هى نفسها هناك .

نعم وبرغم تخوفى واحتسابى من ملاقاتها ولو بمفردها . حبذا لو كانت حقاً وحدها ! ذلك أن صوتاً كان يحاورها ، هو صوت رفيقها فى أمسية البارحة . وكنت أمام لوحة المركيزة « باؤل » المشهورة . ألا تذكرها ؟ إنها تمسك بكفها البيضاء قرنفلة حمراء وترتدى فستاناً أخضراً غامقاً . كان العاشقان يدنوان منى شيئاً فشيئاً . وكنت أحس ذلك من وضوح حديثهما بالتدريج فى أذنى . فهما يتخاطبان الآن بصيغة الجمع « Vous » وكان هذا التحفظ القليل منهما ، تنبيها لمن عساه أن يسمعهما أو يعرفهما من الأصدقاء والمعارف . عند ذاك يكون فى مقدورهما تبرير نزهتهما المنفردة مع بعضهما بانتحال مصادفة ملاقاتهما فى بهو المتحف . وسكتا على حين غرة ، ولكنى بفضل حاسة السمع اليقظة التى ترهف فى مثل هذه اللحظات ، ميزت وسوسة هامسة فيما بينهما ، لقد خافا فجأة من صوتهما ، لأن مازى أبصرتنى .

ولا ريب عندى فى أنها أسرت حينذاك لمشيقها هذه الكلمات المخيفة الهائلة لديها « صديق لزوجى » ومع ذلك لم تغادر الصالة بل كانت خطواتهما تقترب قليلا قليلا منى ، ووقعها على بلاط الصالة ، يحمل صمت الأصوات أكثر وضوحاً وجلاء . هناك تساءلت وعيناى مثبتتان فى اللوحة ، وذراعاى معقودتان إلى صدرى فى تأملة غارقة : أليس الأولى بى الروغان عنها وتجنب محنة ملاقاتها المربكة ؟؟

ليس من المعقول على أى حال استمرارى هكذا جامداً دون حراك ، لأنى بذلك ، أتخذ هيئة من رآها فملا ، ويتظاهر بعدم رؤيتها ، وتلك وقاحة بلا مراء ، ذلك أن عدم إرادتى النظر إليها هو الاقرار بأنها تصاحب رفيقاً . أما إذا حييتها فسوف أفسح لها المجال لكى تشرح موقفها وتتملى بعذر من واجبى التظاهر بتصديقه . ومع أنى فكرت وقدرت كل هذه الحلول لموقفى ، فأنى لم أرم مكانى . ووقف الحبيبان أخيراً ورائى . لا جرم أن المرأة كانت تتساءل عما إذا كنت أمثل دوراً . وعلى أى حال لم ترد أن تكون هى البادئة بالاقتراب منى غير أنها اجترأت أخيرا اجتراء المرأة التى تبغى حماية هنائها . فجهرت بصوتها ، لكى تضطرنى إلى الالتفات إليها . قالت لصاحبها :

— إنك لعلى حق يا سيدى ، فهذه الصورة من أروع وأبدع الصور فى الرواق كله ، ولن أنسى لك جميل تعريفى بها وإظهارى على جمالها . وإنى لجد سعيدة بالمعاونة الطيبة التى جمعتنى بك ، وآمل أن ألقاك فى باريس .. أما الآن فينبغى لى أن أعود سريعة إلى المحطة كى لا يفوت موعد القطار .. لقد كان من المحال ألا أسمع صوتها ، ولكنى لم أحرك حركة ولم أنقل قدماً ، ولم أكلمها كلمة . فترددت « مرغريت » لحظة ، ثم ابتعدت ، وكأنها هى أيضاً لم تبصرنى « مع أن خطابها المرتفع لم يكن موجهاً إلا إلى » . واقتفى الفتى أثرها بعد بضع لحظات كنت أثناءها ما أزال على هيئة استغراقى الذاهل غير المعقول فى صورة «لادام» الرسام « فانديك » ولما ابتعدت خطوات حبيب مدام ردتيه عن الصاله ، واستأنفت سيرى المعتاد ، انتابتنى نوبة من الندم والألم من الصعب وصفها : إنى بتظاهرى عدم مشاهدة مرغريت ، عرفتها بجلاء . بأنها آثمة ودللتها على جرمها . ولا ريب فى أن أول عمل سيقوم به الفتى حين رجوعه إلى الفندق ، هو مراجعة قائمة النازلين فيه . وما لا بد بعد عثورهما على اسمى إلا أن يستخلصا أمر اكتشافى وجودها فى هذا الفندق ! أن عدم التفاتى إليهما فى صاله « القصر الأحمر » ، يعنى أنى لم أجد فى مرافقتهما مفاجأة غريبة ، وإلا كانت المباغتة دفعتنى إلى بعض الحركات أو الإشارات ، وإذاً فالنتيجة المنطقية هى : إنى لا أستطيع أبداً الاستمرار فى تظاهرى أمام امرأة « شارل » أنى أجهل علاقاتها بعشيقها . هى تعلم إنى أدرى لها عشيقاً وهى تدرك أنى أعلم من هو جيداً . ليت شعرى كم ضيقة هى

المسافة التي تفصل الواحد منا عن الآخر في العالم ... لقد كنت أشفق كل الإشفاق من اشتراكي في الإثم ، وإذا بي الآن أحشر نفسي فيه حشراً . والمجرم حين يستوثق من معرفتنا بجرمه ومن حمايتنا إياه بسكوتنا عنه ، له كل الحق أن يعتبرنا متواطئين معه على الجرم . لقد كان الحزم والحكمة يقضيان على أن أشترك « في الملهاة » التي دعتني إليها جملتها . فلو كنت ملتفتاً إليها ببساطة ، لقلت لها : أمي أنت يا مدام ؟؟ حينئذ كانت تعرفني بصاحبها ، معلنة مصادفته في « جه ن » ، ولكانت أنبأت بذلك زوجها بكتاب ، كما كان في مقدوري أن أكتب أنا إليه أيضاً . على حين أنها الآن ملزمة بالسكوت أمام زوجها كيلا يناقض قولها ما لعلني أتحدث به أنا إليه « هذا إذا كان في عزمي أن أتكلم » لسوف تسمم هذه الرعونة التي ارتكبتها أنا ، علاقاتنا إلى الأبد . فهذا الحزم في غير موضعه مني ، هو أشد شيء يدعو إلى الاتهام . لهذا كان من أثر هذا الموقف الخاطيء ، أن بات من المحال على الرد على كتاب صديقي شارل ، طيلة الأيام التي استغرقتها سياحتي . ولعلها المرة الأولى منذ طفولتنا التي لبثت فيها مدى أسبوعين دون إنبائه بصحتي وأخباري أو استنبائه عن صحته وأخباره . وحين حللت باريس ، بقيت أسبوعين أيضاً دون أن أكلف نفسي زيارته مع ثقتي بأن ذلك التغيب هو أشد مخالفة للصواب من مسلكي في رواق « القصر الأحمر » فليس من المعقول أن لا يندهش شارل من انقطاعي عن زيارته ، فلا يستفسرني عن الأسباب التي كنت مصمماً على كتمانها عنه ، وإذاً فأي معنى لتأخري عن زيارته !

كل هذا كنت أعلله وأستخلصه ، ولكن التفكير في أني سأشترك في قذف أخس شتيمة يمكن لرجل أن يتعرض لها في عرضه كانت تثني خطاي إلى أن كنت ذات يوم في منزلي ، أفكر في الوقت الذي يجب فيه استئناف علاقاتي مع أسرة « شارل » وإذا بخادمي ينبئني بأن سيدة ترغب في لقائي فأمرته أن يدخلها . وإذا بي أبصر « مرغريت روية » تدخل غرفة الاستقبال . وكانت أول كلمة لقيتني بها « إني هالكة » ولم تزد عليها شرحاً أو تفسيراً . ثم انفجرت كالمجنونة قائلة : المصادفة وضعت سري بين يديك ، وأنا أعلم أنك لم تشِ بي إلى « شارل » وبسبب هذا وحده كان انقطاعك عن زيارتنا . ولكن بين جنبيك قلباً نبيلاً ، رثى لحال امرأة تعسة ... أعيد عليك القول بأني من الهالكات ... نعم وإني حامل ... لم تكن الشقية تطلب مني الاشتراك السلبي في الإثم فحسب ، بل الاشتراك الإيجابي أيضاً . فلقد عادت من إيطاليا منذ ثلاثة أيام موقنة من أنها حامل لشهر ... وينبغي لي إضافة ما أقرت به أيضاً خلال العبرات والشهقات ، قالت : إنها من حين تعلقها بصاحبها أخذت تنتحل الأعذار باختلال صحتها كي تعيش بعيدة عن زوجها . ولقد تهددتها هذه الأمومة الآثمة في الوقت الذي كنت فيه أنا صديق بعلها الوفي وخله الأمين ، هناك في النزل ولماذا ؟ لكي أكتفي فقط بما رأيته وسمعته ... أما هي فقد فكرت بالفرار مع عشيقها ، وحاولت أن تسلكه في طريقها بأساليب شتى ، لم تزدها كلها إلا معرفة بالعواطف الكاذبة التي يكنها لها ذلك الرجل . حتى الانتحار فكرت فيه ، لولا أن غريزة صون الحياة ردتها عن فكرتها . لأجل هذا جاءت إلي في نوبة من نوبات هواجسها ومثلها تستجدي عطفي وتستنجد رحمتي .

ماذا ؟.. آه ! ما أوهى ذلك الحاجز الذي يفصلنا عن الجريمة ؟ لقد أتت تبتهل إلي أن أرافقها إلى طبيب ، لتستعطفه وتتوسل إليه بماذا ؟ بمساعدتها في الإجهاض ... أتراني محتاجاً إلى أن أحدثك عن جوابي ونصيحتي لها ورجائي أن تحفظ شبابها وتبقي على ذلك الطفل الذي تحمله في أحشائها ؟! لقد سمعتني أردد في إلحاح :

ـــ الأولى بك إن كنت ترجين لأمرك خلاصاً أن تعترفي « لشارل » بكل ما حدث ... وبهذا تحتفظين بطفلك وترونك ، وتجدين الوسيلة إلى طلاقك ، ذلك خير من تحمل جريرة القتل ، وبينما كنت أكلمها هكذا ، كانت أمارات الهدوء تعاودها قليلا قليلا . فانسحبت من عندي بعد إذ أعطتني موثقها من أنها لن تقترف جريمة الانتحار ولا قتل طفلها . وفي الغد وضعت حداً لترددي في الذهاب إلى منزل « شارل » صديقي . فلم تحن الساعة العاشرة . حتى كنت عنده ، بعد وثوق من لقائه في ذلك الوقت لقد أشعرني استقباله الفرح لي بأنه كان فارغ

البال من المأساة الأليمة التي كان منزله لها مسرحاً . قال لي بلهجة المعاتب وهيئة الداعب .

— إنك لا تستأهل مني أن أعرفك بعد الآن . ما معنى هذا التصرف الغريب ؟ إن « مرغريت » لم تعد من هناك ، بل آبت من « إيطاليا » مبتهجة بسياحتها ...

ولكن قل لي بحقك ، ما الذي حدث لك أنت ؟؟ . أظنها مغامرة غرامية جديدة ... لعمري أليس في نيتك الاستقرار والانتظام في حياتك ...

ومع ذلك فالسعادة في الزواج ... نعم وكل السرور والنعيم فيه ، ثق بذلك وصدقني يا صاحبي ... أما أنا فلن أعيد عليك الأسباب التي ادعيتها لذلك الزوج المخدوع تبرراً لسكوتي وغيابي عنه ... وفي مساء ذلك اليوم كنت أتمشى معه بجانب امرأته ، التي كان في وجهها الساكن الجامد ما ينم على أنها نسيت تماماً نوبة الألم التي جازتها وهول الخطر الذي كان يتهددها ... على أني فهمت أي حل حلت به عقدة هذه المشكلة المؤسية ... وذلك أني كنت عند صديقي «شارل» بعد شهر من زيارتي الأولى ، وكنا ندخن منفردين ، حين بدرني قائلا :

— إني لجد مغتبط يا صديقي : لقد كاد حلمي أن يتحقق ... فأنا آمل بعد مدة أن أغدو أباً ... لوليد ستكون لا شك أنت « إشبينه » ...

لم تكد تمضي على هذا ثمانية شهور ، حتى ولد ذلك الطفل الذي أخبرني أبوه « المدعي » عن زنته البالغة . فقال في كبرياء وافتخار . لم يخطر لي وقتئذ أن أسخر منهما

— نعم يا صديقي ، إنه يزيد كيلو غراماً عن وزن الطفل العادي . ثم إنه ولد قبل الميعاد المنتظر لولادة الأجنة ... ستة شهور ونصف فقط ... أليس ذلك عجيباً ؟! لقد تملكني الخوف منه بادئ الأمر ، ولكن الطبيب طمأنني ، وهو طبيب من النوع الممتاز ، عرفت « مرغريت » عنوانه على سبيل الصدفة بواسطة إحدى صويحباتها لدن عودتها من « إيطاليا » ... « واحفظ عني يا صديقي ... لقد نالت السكينة بالوضع أشد الألم ، حتى أني لم آمل أن أصبح أباً ... بيد أن ذلك لم يكن له كبير خطر ... لأن الطبيب عرف كيف يعتني بها الإعتناء المطلوب ... وبينما كان شارل يفضي إلى بسعادته الكاذبة ، كنت أذوب خجلا وألماً في نفسي . وفي الواقع لم أكن واحداً من أولئك الذين ائتمروا به حتى يثبتوا في ذهنه الوهم الفاحش الخادع الذي سيعيش ويموت على ضلاله وبطلانه ؟! .

على أني علمت من ذلك أن مرغريت حين بارحت منزلي ، ذهبت من فورها إلى طبيب من الأطباء ، وعرضت عليه عملية الإجهاض ، ولكن الطبيب نصح إلى « زبونته » المرتاعة بالعودة إلى زوجها ، وبأن تلزم نفسها حين تقترب ولادتها بإقناعه بتاريخ لحملها منه ... يكون ... بعد ذلك مقارباً للحقيقة . أكنت على حق أم في ضلال بعيد لعدم إفشائي الحقيقة في حينها ؟؟ . أمصيباً كنت أنا بالسكوت أم مخطئاً ؟! إني وقد تعاقبت على هذه الحادثة سنون عدة ما أفتأ أتساءل وأقاول نفسي بكل هذه الأسئلة . ولكن دون أن أظفر لها بجواب ... ترى هل أصبت أو أخطأت بغمسي في ماء «التعميد» لذلك الطفل الذي أنا أعرف الناس بأبيه ؟! ... لم تمض خمسة شهور على ولادته حتى وجدت أمه الوسيلة إلى إفساد ما بيني وبين زوجها ، الذي لم أتحر أنا منع تراخي منه ، لأن التردد على ذلك المنزل كان يسبب لي كثيراً من التغصص والندامة .

ولعلك تفهم جيداً علة عدم مرافقتي لك إلى ذلك المنزل ... في « جه ن » . أمن اللازم اعترافي أنا الآخر بأن عدم حلولي في ذلك الفندق مراعاة لشعور صديقي رايموند ؟... ومع ذاك لم أنفك أسائل نفسي منذ ذلك الحين ، ترى ما عساني كنت فاعلا لو أني مكانه ؟ ! . تجاه صديق صدوق ، يعد الصمت عن مثل هذه الجريمة ، جريمة أبلغ وأنكر ، كما يعد إفشاؤها فظاعة ما بعدها من فظاعة .

وفي هذا ، ما يبرهن ، على أنه يجمل أحياناً ، أن يجهل المرء أسرار غيره ، إن آمن شيء وأسلم عاقبة في هذه الحياة الدنيا ، أن تممض عينيك فلا ترى ، وتسد أذنك فلا تسمع شيئاً عن مثالب ونقائص الآخرين . ذلك السبيل الأوحد ، كي يظل الإنسان على خالص طهره ونقائه . ولكن هل ذلك مستطاع ؟ .

حلب — كمال الحريري

مطبعة الرسالة